دروس
من العقيدة والفقه الإسلامي

مصلح بن وكيل الأنصاري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قرآن كريم : دروس من العقيدة والفقه الاسلامى

قال الله تعالى :ـ

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ .

وقال تعالى :ـ

﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون . ﴾

مقدمة الكتاب

الحمد لله منور القلوب والبصائر ومصور الخواطر الذى أودع القلوب من حكمه جواهر أحمد حمدا لايستحقه سواه. وأعتقد التقصير فى كل ما فعله العبد من شكر نعمه ونواه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة عبد عرف ربه وطلب هداه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى اصطفاه، إبتعثه وطرق الإيمان قد عفت آثارها وخبت أنوارها وتهدمت أركانها وإندرست أعلامها فشيد ما عفا من معالمها، وأوضح سبيل الهداية لمن وفقه الله للهدى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أهل المجد والعلى إلى يوم الدين. . وبعد :ـ

فإنه لما كان العلم أشرف ما خلق فى الوجود وأعز ما ينعم الله به على عباده ويجود وحين ما علمت ذلك علمت أنى بالإعراض عن ذلك على غرر من أ؛مرى وقلت إن الخسران موجود عندى فى ليال تمر من عمرى بلا نفع.

فأردت أن أتمسك من أخبار الرسول ﷺ ما أرجو به النجاة من هذا الخطر، وكذلك لما كان طلب العلم واجبا على كل مسلم إخترت أن أكون من طلابه فإن لم أمت عالما أرجو أن أموت طالبا لعل الله أن يكفر بالإخلاص فى ذلك بعض تحميلي من أوزار الدنيا وما إقترفت فيها من الذنوب وأن يسامحنى بعفوه عن ذنوب ليس لى حجة فيها إلا الاعتراف، وقد وثقت آمالى إعتمادا على ما وردت به السنة وتأملت معنى قوله ﷺ «من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة».

وسميت ما جمعته من فوائد وما التقطته من فرائد بدروس من العقيدة والفقه الإسلامي وأرجو من الله السداد والتوفيق إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

الدرس الأول (الاسلام ومعنى الاسلام)

أيها المسلم اعلم رحمك الله أن الإسلام فى اللغة الخضوع والانقياد ـ يقال فلان أسلم أى خضع وإنقاد ومن ذلك قوله تعالى ﴿**أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون .**﴾ (١)

ويطلق لفظ الإسلام ويراد به مجموعة التعاليم التى أوحاها الله إلى سيدنا محمد ﷺ ، وهى داعية إلى توحيد الله والخضوع لأحكامه والانقياد للأصول العامة التى جاء بها الانبياء من قبل وفى ذلك يقول الله تعالى ﴿**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه .**﴾ (٢)

ومن ثم فقد أطلق لفظ مسلم على كل من إتبع هذه التعاليم السماوية فيقال إن نوحا مسلم وإبراهيم مسلم وموسى مسلم وعيسى مسلم. كذلك يسمى بهذا الاسم كل من تبعهم وإنقاد لتعاليمهم ، ولما كان سيدنا محمد ﷺ آخر من حمل هذه التعاليم ودعا إليها سُمى مسلم وأطلق على أتباعه المسلمين وسمى الدين الذى دعا إليه (بالإسلام) وهذه التسمية ليست من إختراع أحد وإنما هى من الله سبحانه وتعالى حيث قال تعالى ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا .**﴾ (٣) فالإسلام ليس بجديد على الناس ودعوة سيدنا محمد ليست من البدع .

---

(١) سورة آل عمران الآية ٨٣.

(٢) سورة الشورى آية ١٣ .

(٣) سورة المائده آية ٣ .

وإنما الإسلام هو المنهج الذى إرتضاه الله للناس جميعا من أول الرسل إلى خاتم الأنبياء وفى ذلـك يقول تعالى ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾. (١). . وكل ما خالفت هذا المنهج فليس بدين عند الله والله لايقبل أى عمل من الأعمال التى لاتتفق معه. وفى ذلك يقول تعالى ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين**﴾ - (٢) . . .

ومن يطلب دينا غير الإسلام الذى هو دين جميع الأنبياء فلن يقبل منه ولذلك يكون فى الآخرة من الخاسرين لكل خير. فالآية تعنى جميع البشر فكل فرد من الأفـراد لايعتنق الإسـلام ولايدين به يكون فى الآخرة من الخاسرين لأنه بعدم إنقياده للإسلام يكون خارجا عن منهج الأنبياء والرسل وقد جاء الإسلام ليعيد لتعاليم الله صفائها وليخلص الدين مما علق به من رواسب وما لحق به من تحريف فهو إصلاح عام ودعوة إلى تآلف الشعوب وتقارب الأمم وتوحيد العالم ودعوة الناس جميعا إلى منهاج واحد ليعيشوا فى سلام ومحبه ووئام وتكافل وتكاتف وتآزر لكى يصل المجتمع الإنسانى إلى المستوى الرفيع، والله أعلم.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩.

(٢) سورة آل عمران آية ٨٥

الدرس الثانى: فى وحدانية الله تعالى وعقائد العرب قبل الاسلام

أيها المسلم أعلم رحمك الله أن عبادة الأصنام كانت منتشرة إنتشارا واسعا قبل الإسلام فى جزيرة العرب قال ابن الكلبى : كان لأهل كل دار من مكة صنم في دورهم يعبدونه حتى أنهم إذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنعه إذا دخل منزله أن يتمسح به وإذا قدم من سفره أول شيء يفعله عند دخوله منزله أن يتمسح بهذا الصنم أيضا وفى طليعة تلك الأصنام التى ذكرها المؤرخون والتى جاء ذكرها فى القرآن هى يسوع ويغوث ويعوق ونسرا وود ومناة واللات والعزى. وغيرها عشرات وردت فى كتب المؤرخين، وقد كان من العرب من يعتقد فيها، والبعض يعبد الأجرام السماويه ولا سيما الشمس والقمر وكانوا يسمون الشمس (الآلهة) وكان بعض العرب يعبدون الملائكة والبعض الآخر يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون.

وأما عبادة المقبورين فقد كان لها الحظ الأوفر عند العرب وفى أمر الرسول محمد ﷺ للعرب بتسوية القبور ونهيه عن إتخاذها مساجد ومواضع للصلاة إن فى ذلك لأكبر الدليل على أنهم كانوا يعبدون أرواح أهل هذه القبور هذا كان من العرب قبل الإسلام من يدين بعبادة الأرواح ويؤمن بأثارها كما أن للأخباريون قصص عنها وعن إستقلالها وإنفصالها عن الجسد بعد الموت وإتصالها بالقبر ورفرفتها فوقه إذا كان صاحبها رجلا مقتولا ولم يؤخذ بثأره وللأرواح فى رأيهم قدرة على الظهور للإنسان بأشكال مختلفه وقد تحل فى بعض الحيوانات ومن هنا ظهرت عقيدة التشاؤم والتفاؤل والخوف من بعض الحيوانات فمن أسماء الحيوانات التى تسمت بها بطون العشائر. كلب وذئب ودب وثعلب وهروبطة وثور ويضاف إلى ذلك أسماء الشجر ونباتات أخرى وهناك طائفة من العرب أنكروا الخالق وهم الدهريون وهم المشار إليهم فى قوله تعالى : ﴿**وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا**

إلا الدهر. ﴾ (١)

وهناك جماعة من العرب لم تكن من اليهود ولا النصارى وإنما اعتقدت بوجود إله واحد وعبدوه وقد ذكر المفسرون وأهل الأخبار أسماء جماعة من هؤلاء غير أن ما ذكروه عنهم غامض ولايشرح عقاءهم ولا يوضح رأيهم فى الدين وقد عرف هؤلاء بالحنفاء ونعتوا بأنهم على دين إبراهيم والذى يظهر من بعض الروايات أن منهم من كان قد قرأ الكتب السماوية وفهمها وأنهم كانوا يتأملون فى هذا الكون وأنهم يجتنبون الخمرة والأعمال المنكرة وقد نصحوا الناس بالابتعاد عن الأصنام ومن الديانات المعروفة قبل الإسلام فى جزيرة العرب المجوسية والصابئه واليهودية والمسيحية. والمجوسيه كما هو معروف عند الأخباريون هى عبادة النار.

وقد تسربت هذه العبادات من الفرس أما الصابئه فهم صنفان: صابئه حنفاء وصابئة مشركون. والمشركون من أهلهم عبدة الكواكب وقيل إنما دعوا صابئة لخروجهم على دينهم ومحاولاتهم أخذ ما يروق لهم من كل دين. وقد كان من أهل مكة كما يتبين من القرآن الكريم ومن الشعر المنسوب إلى الجاهليين. من يعتقدون بوجود الله الواحد الذى خلق السموات والأرض، ولكن كانوا على الرغم من ذلك مشركين يعتقدون بأن الله هو الذى شاء لهم ذلك فجعلهم مشركين وأن عبادتهم للأصنام وسيلة تقربهم إلى الله زلفى ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فالتوحيد عند الجاهلين مخالطه الإشراك بالله فجعلوا الله بنين وبنات وجعلوا لله شركاء وإعتقدوا فى القربات والشفاعات وهذا ما حاربه الإسلام واجتث وساطته وطهر التوحيد من زوائد الشرك وجميع الرذائل

---

(١) رجعنا فى هذا البحث الى كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواده علي حسن. الجزء الخامس.

الدرس الثالث

أيها المسلم : الإسلام دعا إلى توحيد الله وقد جاء الإسلام ليبطل ما كان عليه العرب من عبادة غير الله وقرر التوحيد المطلق لله فى الذات والصفات والتوجه له بالعبادة وحده وقد جاء فى القرآن قوله تعالى **﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾** . (١) فالتوحيد هو العقيدة الأولى فى الإسلام التى يجب أن يؤمن بها قلب المسلم وينطق بها لسانه بقوله (أشهد أن لا إله إلا الله) .

فكلمة لا إله إلا الله إستعملت للدلالة على المعبود حقا وإبطال ما يعبد من دونه وكلمة إلا الله نفى لكل ما يعبد من دون الله فى الوجود وإبطال عبادته وكلمة إلا الله إثبات العباده لله وحده سبحانه وتعالى عما يصفون) .

---

(١) سورة البقرة آية ١٦٣ .

الدرس الرابع: فى روح التوحيد فى الاسلام

أيها المسلم اقتضت سنة الله فى خلقه أن يكون للعقائد سلطان على الأعمال البدنية، فما يكون فى الأعمال من صلاح أو فساد فإن منشأه من فساد العقيدة أو صلاحها حيث أن الإسلام الخالص من الشوائب الصادر من القلب تتبعه حتما جميع الفضائل المتعارف عليها، فكلمة التوحيد ترسخ فى قلب قائلها بأن لامعبود بحق إلا الله ولا محيى ولا مميت ولا رازق ولا ضار ولا نافع إلا الله، وأيضا يستفيد المؤمن من عقيدتـه فى التوحيد الاستقلال والحرية فليس لأحد عليه أى سلطان ويرى أن ما طرأ على العالم من مصيبة الخضوع للملوك والزعماء المستبدين أن سببه جهلهم بالمؤثـر الأعلى وخضوعهم لقوتهم الوهمية التى تريهم أن قادتهم من طينة أرقى من طينتهم، ولهذا جاء فى القرآن: النهى عن عبادة غير الله فى قوله تعالى **﴿إن الـذين تدعـون من دون الله عبـاد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين﴾** (١)..

ويأمر الله رسوله محمد عليه السلام بأن يخاطب قومه بقوله تعالى **﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره، أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله﴾** (٢).. وكذلك يستفيد المؤمن من التوحيد صفتى الأنفه والعفه من إعتقاد أن لا رازق إلا الله وقد جاء فى القرآن قوله تعالى **﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾**(٣).. وكذلك يستفيد المؤمن من التوحيد الشجاعة وعدم هيبة الموت لأن الذى يملك الموت والحياة هو الله وحده وبذلك ترتفع نفسه إلى العزة والإباء والاستشهاد فى سبيل الحق وفى ذلك يقول تعالى **﴿وما كان لنفسٍ أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا﴾** (٤)

(١) سورة الأعراف آية ١٩٤
(٢) سورة الزمر آية ٣٨
(٣) سورة العنكبوت آية ٦٢
(٤) سورة آل عمران آية ١٤٥

الدرس الخامس: (فى براهين عقلية على وحدانية الله)

أيها المسلم أعلم رحمك الله أن الاسلام هو دين منطق وعقل، لايأمر معتنقيه بعقيدة إلا من بعد أن يعرض البراهين العقلية على صحتها ولا يهاجم أخرى إلا بعد أن يبين تفاهتها وبعدها عن الصواب، فتعداد الآلهة مثلا يجعل البشر عبيدا لالهتهم ولذلك كان يقع على كاهل الإنسان من جراء تعداد الآلهة من الأعباء ما تنوءبه استعداداته كتقديم الهدايا والنذور والقرابين والشعائر العملية التى ترضى الألهة ولذلك يخاطب القرآن المشركين قائلا ﴿أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار، ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه﴾. . ! (١)

فالقرآن يستهل خطابه بتبيان الفرق العظيم بين عبادة إله واحد يخضع الجميع لحكمه وما يستدعيه ذلك التوحيد من التخفيف عن كاهل الإنسان من التضحيات المرهقه والشعائر الوهمية كما أن هذا التوحيد يُوَحِّد بين البشرية ويقضى على كثير من أسباب الخلاف الذى نشأ بسبب إختلاف المعتقدات ثم ينتقل القرآن فى محاججة المشركين قائلا كيف تعبدون آلهة من صنعكم أطلقتم عليها الأسماء المختلفه أنتم وآباءكم ما أنزل الله بها من سلطان أى ما جعل الله فيها من حجة ولا برهان عقلى يطمئن بها من يعبدها من دون الله والإنسان بعد التمعن فى أسرار الكون وما حوله من النظام والدقة فى الصنع ووحدة الهدف الذى يجمع بين أجزائه لابد أن يؤمن بوحدانية الله ولابد أن تظهر روعة النص القرآنى الذى قرر هذه الحقيقة فى قوله تعالى: **﴿أم اتخذوا الهة من الأرض هم ينشرون﴾** (٢)

---

(١) سورة يوسف آية ٣٩-٤٠

(٢) سورة الانبياء آية ٢٠-٢١

ولقد بين القرآن أن اختلاف آلهة في علومهم وإراداتهم ينتج عنه فساد نظام الكون بل يستحيل أن يكون له نظام وأيضا يستحيل وجود ممكن من الممكنات لأن وجود كل ممكن لابد أن يتعلق به الإيجاد حسب العلوم والإرادات المختلفة فيلزم أن يكون للشيء وجودات متعددة وهو محال، لكن الفساد ممتنع في عقيدة التوحيد بالبداهة فهو جل شأنه واحد في ذاته وصفاته لاشريك له في وجوده ولا في أفعاله ولايكتفى القرآن ببيان أن الفساد يعترى الكون من جراء تعداد الآلهة بل يصف بعض مظاهر الفساد بوصف يرتفع به إلى أعلى مراتب الإقناع ويفحم به المكابرين بأدلة لايمكن دحضها أبدا بقوله تعالى: **﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾**(١)

---

(١) سورة المؤمنون آية ٩١

الدرس السادس: فى وحدة الأنظمة الكونية وهى تدل على وحدانية الله تعالى

أيها المسلم إن من البراهين التى تفرد بها القرآن فى الدلالة على هذه الأنظمة التى تدل على موجد واحد أوجدها ما جاء فى القرآن فى قوله تعالى: **﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا، تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا﴾** . . . (١)

والمعنى والله أعلم قل لو كان مع الله آلهية فى الوجود كما يقول المشركون لطلب في الوجود هؤلاء الآلهة طريقا يصلون به إلى الله صاحب الملك لينازعونه عليه، تنزه الله عز وجل من أن يكون معه آلهة كما يقولون وكيف يكون له شريك والسموات والأرض ومن فيها تشهد له بالوحدانية وتنزهه وتقدسه وتحمده حمدا كثيرا ولكن لانفقه هذا التسبيح ولا ندرك كنهه هذه الحقيقة وقد أعلنها القرآن قبل أربعة عشر قرنا فى وقت كان العلم لايفقه شيئا من أسرار الكون، لكن هذا العصر توصل العقل البشرى إلى إدراك بعض أسراره فقد علموا أن هناك حركة دائمة لاتنقطع فى ذرات كل شىء فالنتيجة التي نخرج بها بعد التمعن فى أسرار الكون هى أن هذا الكون بوحدة أنظمته يدل دلالة واضحة على الوحدانية وأن هذه الحركة الدائمة فى النجوم وذرات كل شىء لسنا نبالغ فى القول بأنها مظهر من مظاهر تقديسها لله خالقها وهى المشار اليها بقوله تعالى : **﴿وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم.﴾** (٢)

---

(١) سورة الاسراء آية ٤١ ـ ٤٤

(٢) سورة الاسراء آية ٤٤

الدرس السابع: فى الشرك بالله ومظاهره

أيها المسلم أعلم رحمك الله أن الشرك هو عبادة غير الله معه من الأصنام والأوثان والأحجار والأشجار أو الحيوانات أو قبور الأموات أو الأجرام السماوية أو قوى الطبيعة أو إتخاذ البشر آلهة أو الزعم بأن لله بنين وبنات ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. وقد بين الإسلام فساد الإشراك بالله وبطلانه بقوله تعالى: ﴿**إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا**﴾ (١)

وبما أن الشرك وليد الجهل والوهم فهو يجلب من المساوىء للمجتمع الإنسانى مالا تجلبه عقيدة أخرى. ونراه بجانب مناقضته للعقل والمنطق يجعل الأذهان طيعة لقبول كل الأوهام والخرافات والأساطير التى تهدم كيانه وتضعفه.

وتقف حاجزا دون رقيه وإزدهاره، وكثيرا ما خالط الشرك أسمى التعاليم الإلهية المختلفة وحاد بها عن حقيقتها وما ذلك إلا بسبب ما روجه المبتدعون، وأخذ به العامة من القشور فشوهوا بعملهم جمال الدين ومهدوا السبيل لدعوة الإلحاد لمهاجمة الدين القويم.

(١) سورة النساء آية ١١٦

الدرس الثامن: (مهاجمة الاسلام للاشراك بالله)

أعلم أيها المسلم أن الإسلام قد تصدى لمحاربة الشرك وكان غايته من ذلك تحرير الإنسان من الخضوع لأى مخلوق على هذه الأرض وقد صنع الإسلام ذلك لأنه أراد للإنسان هدفا أسمى مما فى عالمه، وأراد أن يكون خضوعه وطاعته لغير من يجوز عليه الفناء والتغيير، حيث أن المتغير ليس إلا أشخاص هذا العالم الذى نعيش فيه، أراد الله له ذلك لأن خضوع الإنسان للمتغير الذى يعتريه الفناء والنقصان والتغير ومعنى ذلك أن يجعل الإنسان مضطرباً فى دوافع العمل والسلوك فمهاجمة الإسلام للشرك كانت لأجل أن يرفع الإنسان من عبادة الشخص المحدود المتغير الفانى إلى ما وراء ذلك مما له الدوام والاستقرار وإذا كان له الدوام والاستقرار كان حتما له الكمال وإذا كان دائم الكمال شرف الإنسان بالخضوع له لأنه أعلى قيمة من الإنسان، وكذلك وجهته فى الحياة ثابته لاتبديل فيها وهى وجهة الكمال المطلوب المطلق ولهذا جاء فى القرآن قوله تعالى: ﴿**ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم**﴾. (١)

وما كانت مهاجمة الإسلام للشرك لتتم بإقامة برهان عقلى على توحيد الله بل لا بد من دحض الشبهات بالحجج العقلية والعلمية والعبارات المختلفة وضرب الأمثال ولهذا جاء فى القرآن فى قوله تعالى: ﴿ **قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.** ﴾ (٢)

وجاء فى القرآن أيضا قوله تعالى: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، وقال المسيح يابنى إسرائيل أعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد**

---

(١) سورة النحل آية ٦٠ (٢) سورة الاخلاص

حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار، لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم، أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم﴾
ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنى يؤفكون) (١) . .

وللشرك بالله مظاهر شتى تعرض لها القرآن بالنقد والذم وبين فسادها بأساليب علمية لاتقبل الجدل وستتناولها بالتفصيل فى المواضيع الأتية إن شاء الله وبالله التوفيق،

---

(١) سورة المائده آية ٧١ ـ ٧٥

الدرس التاسع: (فى العبادات الشخصية الانسانية)

أعلم أيها المسلم رحمك الله أن من أنواع الإشراك بالله عبادة الأشخاص الإنسانية فإن كثيرا من البشر آله بعض أبناء جنسهم إعتقادا منهم بأنهم يتمتعون بميزات وخواص ينفردون بها عن سائر البشر وقد كانت لهؤلاء المتألهين عدة سبل للوصول إلى غاياتهم منها إستغلال سذاجة الأفراد والدجالين عليهم وإستعمال وسائل العنف والإرهاب فأستغلوا الجماعة البشرية أسوأ إستغلال لمطامعهم وتنفيذ مآربهم وقادوهم إلى الهلاك والخسران، وقد لاقت الجماعات البشرية من شرور هؤلاء المتألهين ما يضيق به الصدر فكانت تتنفس الصعداء عقب كل ثورة إصلاحية تكفر بهذا التأله الذى خضعت له زمنا طويلا والأمثلة شاهده على هذا عند كثير من الشعوب البدائية والشعوب المتحضرة من المبادىء العظيمة التى جاء بها القرآن منذ أربعة عشر قرنا عبادة الله وحده وعدم عبادة الشخصية الإنسانية بأى صورة كانت أنظر كيف يوجه الإسلام الخطاب إلى اليهود والنصارى واصفا الأسس الراسخة التى يجب أن تلتقى حولها هذه الديانات الثلاث فى سبيل سعادة البشرية ورفع الظلم والاستغلال الذين تؤدى إليهماعبادة الشخصية الإنسانية فى قوله تعالى: **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله﴾** (١)..

ولما كان بعض الأنبياء والمصلحين إتخذوهم قومهم بعد مماتهم آلهة أو بعض آلهة بين القرآن بطلان هذه الشطحات فى هذا المعتقد بقوله تعالى: **﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا**

(١) سورة آل عمران أية ٦٤

الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ (١) . .

والمعنى والله أعلم أن الله لم يؤتِ العلم والحكمة والنبوة لبشر يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله لأنه سبحانه هو الخبير العليم ولكن إقتضت حكمته أن يأتى الحكمة والنبوة لمن يقول لهم كونوا عبادا للرب الواحد الخالق الرازق المحيى المميت الحى القيوم الذى لا تأخده سنة ولا نوم بمقتضى ما علمكم من كتابه الإلهى الذى لا يأتيه البـاطـل من بين يديه ولا من خلفه ولايمكن أن الله يأمركم أن تجعلوا المـلائكة والنبيين أربابا من دون الله حيث أن ذلك كفر، وليس من المعقول أن يأمركم به بعد أن أصبحتم مسلمين موجهين وجوهكم إليه مؤمنين به . إذا فعبادة المصلحـين والأنبياء أمـرا مشهـورا فى كثير من الأمم أما هذه النظرة الضالة إلى المصلحين والأنبياء فقد عمل الإسلام على معالجتها والاحتياط لها خوفا على أتباعه من تأله صاحب الدعوة الإسلامية. لذلك كان من صميم المعتقدات الإسلامية أن محمدا بشر كسائر البشر وأنه عبد الله ورسوله أمره الله أن يخاطب أتباعه قائلا : (قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذيرٌ وبشير لقوم يؤمنون) (٢) . .

وجاء فى القرآن أيضا فى هذا المعنى قوله تعالى : **﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا﴾** (٣) . .

فتـأمل أيها المسلم ما تحمله هذه الآيات الكريمة من التعاليم السامية التى فيها إسعاد البشرية جمعاء التى أعرب عنها القرآن بكلمات قليلة تغنى عن مجلدات فهى تلخص الفكرة الإسلامية القائمة على العمل الصالح الذى فيه إسعاد للبشرية وتوحيدا لله ، وعدم العبادة لغيره معه كائن من كان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

---

(١) سورة آل عمران آية ٧٩ ـ ٨٠

(٢) سورة الاعراف آية ١٨٨

(٣) سورة الكهف ١١٠

الدرس العاشر: (فى الشفاعة)

كان العرب قبل الإسلام يعتبرون الأصنام من جملة الشفعاء الذين يشفعون لهم عند الله وقد تكون الشفاعة بوسيط وبطرق متعددة إما بالصلاه وإما بالأدعية وإما بالتوجه إلى القديسين والأنبياء وبتقديم القرابين والنذور إلى الآلهة والمعابد لتكون واسطة وشفيعة لأصحابها لدى آلتهم فى إستجابة مطالبهم وقد جاء القرآن يصرح بأن الشفاعة من خصائص الله وحده فى قوله تعالى : **﴿قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون﴾**(١) .

لأن الله سبحانه وتعالى قد تفرد بخلق كل شىء وهو المتصرف فى كل شىء والشفاعة من خصائصه سبحانه وتعالى ويؤكد القرآن بأن الشفاعة لاتكون لأحد من مخلوقاته إلا من بعد إذنه كما جاء فى القرآن فى قوله تعالى : **﴿ما من شفيع إلا من بعد إذنه﴾** . . (٢)

وكذلك جاء فى القرآن بأن الأنبياء يشفعون لمن أراد الله له الشفاعة كما قال تعالى : **﴿ولايشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾** (٣)

ويعيب القرآن على المشركين إتكالهم على الشفعاء ويبين بطلان ذلك بقوله تعالى **﴿ويعبدون من دون الله ما لايضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾** (٤)

---

(١) سورة الزمر آية٤٤

(٢) سورة يونس آية ٣

(٣) سورة الانبياء آية ٢٨

(٤) سورة يونس آية ١٨

فالذى ذكره القرآن من إختصاص الله بالشفاعة وأنه قد يأذن لمن يشاء بها فإن ذلك لسبيل إصلاح كبير يقطع الأمل الذى يتعلل به العصاة المتكلون على الشفاعة كما يحول بين كل مدعى من البشر بالصلاح والتقوى لاستغلال الناس بحجة أنه يشفع لهم عند الله ويجاب لهم بالمغفرة لأن الله قد أذن له وهو كاذب فى ذلك وهذا المدعى لاعلم له بأن الله أذن له أم لم يأذن له وأن المدار جميعه على أعمال الإنسان ونيتـه التى بموجبها يصبح من الناجين أو الهالكين فى الآخرة وقد قرر الإسلام توحيد الله توحيدا مطلقا فى ذاته وصفاته والتوجه إليه توجها كليا يحرر الإنسان من عبودية الأفراد ويهبه الكرامة الإنسانية الحقة ويقوى نفسه على مجابهة أحداث الحياة ويجعله فردا صالحا فى المجتمع الإنسانى والله أعلم . .

الدرس الحادى عشر: (فى صفات الله فى القرآن)

أيها المسلم إنك ترى دينا يصف معالم الألوهية وما يليق بها من كمال ومعرفة كما يفعل الإسلام فالدارس للقرآن يستشعر من خلال آياته وصف الخالق شعورا مليئا بالخشوع والابتهال لهذه الذات الإلهية التى لايحدها فكر ولا يحيط بها عقل، الذى يجعل الإنسان فى منأى عن الإشراك بالله ويشعر برابطة وصلة تجمعه بهذه القدرة الإلهية إذ لاحاجة ولا حاجز بينه وبين الذات الإلهية من دواعى الإشراك به ولهذا نرى الإسلام يجعل بين الله والناس رابطة لاتلجئهم إلى الاستعانه بغيره وإلى القارىء الكريم عرضا مختصرا لهذه الصفات والرابطة التى جعلها الله بينه وبين الناس. (قدرة الله).

أيها المسلم أعلم أن الكون وما يحتويه من كائنات حية وغير حية أثر من آثار قدرة الله، أبدعها من العدم وأنها قدرة شاملة فى نواحى هذا الكون لايعجزها شىء البتة وهذا ما أعلنه القرآن فى قوله تعالى: **﴿تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير﴾** . . (١)

ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير (٢) حقا إنها قدرة تنتج ولكن إنتاجها أعلى وأسمى وأكثر من مجموع إنتاج البشر فالعقل البشرى جميع مجالاته محصورة فى معرفة الأشياء المحدودة بخلاف قدرة الله التى لاتقف عند حد، فالحشرات مثلا وهى من أبسط مخلوقات الله لاتستطيع البشرية بأجمعها أن تخلقها وهذا هو الفرق الشاسع بين قدرة الله وقدرة الإنسان التى صورها القرآن

---

(١) سورة الملك آية ١

(٢) سورة الحج آية ٦

بقوله تعالى: ﴿ **يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو إجتمعوا له**﴾ (١)

وآثار القدره الإلهية التى نشاهدها فى هذه الآية الموجزة الرائعة وهى قوله تعالى: ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ (٢)

وقدرة الله تتغلغل فى صميم حياة الإنسان إذاً فلا داعى للالتجاء إلى غير الله فى الحصول على مرغوب أو اجتناب مكروه. لأن ذلك لايملكه إلا الله وقد جاء فى القرآن قوله تعالى: ﴿**وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير**﴾ (٣)

وقدرة الله سارية فى خلق الذكور والإناث فلا داعى للالتجاء إلى الآلهة أو الارتماء فى أحضان الدجالين للحصول على الولد أو غيره وقد جاء فى القرآن فى وصف قدرة الله قوله تعالى: ﴿**يهب لمن يشاء إناثاً ويهب من يشاء الذكور**﴾ (٤) **ويجعل من يشاء عقيماً** وقدرة الله نافذه في اعزاز الامم وإذلالها وفي ذلك يقول تعالى ﴿**قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير**﴾ (٥)

فكم من الأمم بلغت منزلة عالية من السلطان والنفوذ ثم ذلت، وكم من ملوك وزعماء بلغوا أرفع منازل الجاه ثم وصلوا أخيرا إلى نهاية مؤلمة من تقتيل وسجن ونفى أيها المسلم إن المؤثر والموجه فى مصائر الشعوب والأفراد هو الله وحده فلا حاجة للالتجاء إلى غيره عز وجل ولكن فى سبيل الحصول على حياة أفضل يصرح القرآن بأن على الأمة أن تغير من سلوكها في حياة أفضل يصرح القرآن بأن على الأمة أن تغير من سلوكها فى الحياة لتحصل على ما تبتغيه من عزة وسعادة، قال تعالى ﴿**إن**

---

(١) سورة الحج آية ٧٣

(٢) سورة النور آية ٣٥

(٣) سورة الأنعام آية ١٧

(٤) سورة الشورى آية ٤٩ ـ ٥٠

(٥) سورة آل عمران آية ٢٦

الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾(١) . .

هذه الآية العظيمة تصرح بأن سنة الله جارية بأن لايغير حال الأمم من شقاء إلى سعادة أو بالعكس إلا إذا غيروا ما بأنفسهم، والله أعلم، ،

---

(١) سورة الرعد آية ١١

(الدرس الثانى عشر: فى علم الله تعالى)

اعلم أيها المسلم أن الله عليم لم يسبق علمه جهالة ولا يعد عليه نسيان وعلمه محيط بالأمس واليوم والغد والظاهر والباطن وبالسماء والأرض وبالدنيا والآخرة، وما هو كائن إلى يوم القيامة وما هذا الكون ومافيه من الأحكام والإتقان إلا برهان على شمـول علم الله، فهـو خالق كل شىء وهـو على كل شىء قدير والذى يخلق المخلوقـات كلهـا ويربيها بنعمه تفضلا منه لأحرى أنه هو الذى يعلم أسرارها وخفاياها وقد قال تعالى فى ذلك **﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾** (١)

وبذلك يظهر لنا أن الله عليم بكل شىء فى الوجود.

أيها المسلم تأمل رحمك الله فى هذه الآيات التى تستشعر فيها بحلال الربوبية بما يتراء لك من معانيها المختلفة (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) (٢)

فالآية تقول إن الله يعلم ما تحمل كل أنثى من الأجنة ويعلم جنسها من ذكر أو أنثى وما تنقص الأرحام بالولادة وما تزداد بالحمل وقتا بعد آخر وكل شىء عنده بقدر معلوم وله زمان معلوم وأنه يعلم أيضا ما يغيب عن حسنا وما نشاهده وهو عظيم الشأن يعلم كل ما فى الوجود ويعلم ما نسر وما نعلن من أفعال وأقوال ويعلم دقائق هذا الكون وخفاياه ويعلم ما هو مستخفى فى ظلمة الليل وظاهر فى وضح النهار، (وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط

---

(١) سورة الملك آية ١٣-١٤

(٢) سورة الرعد آية ٨ - ١٠

من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين). (١)

فكل ما حدث وما يستحدث وما يجد ويستجد حدوثه فذلك من علمه المستمر (ليس كمثله شىء).

ثم أعلم أيها المسلم أن مخالفة الذات الإلهية لغيرها من المحدثات ظاهرة والبداهة تقتضى بأن مرتبة المخلوق دون مرتبة الخالق بكثير. وأن الخالق جل وعلا لايشبهه شىءمن خلقه لا فى ذاته ولا فى صفاته، فإذا قيل أن الله يسمع فليس ذلك بأن له أذنا كأذاننا أو قيل أنه يرى، فليس ذلك بأن له عينا كأعيننا، فهو أسمى مما يتصوره المخلوق، وهو سبحانه غير مخلوقاته وشأن الألوهية أسمى من ذلك ولكن بعض الناس ضلوا وإختلفوا فى ذات الله فبعض الوثنيين يرى أن الله أرواح تمثلها الأصنام والأوثان، ويرى البعض الأخر أن الله حل فى بعض أجساد أهل الأرض، أما الإسلام فقد رد الأمر إلى نصابه وأتى بالقول الفصل فى حقيقة الله ودحض كل الشبهات والأباطيل التى رانت على العقول حول الاعتقاد فى الله تعالى حيث أن نظرية الإسلام ترى أن للكون ربا واحدا وخالقا واحدا متصفا بجميع صفات الكمال وتدعونا بأن نجله وننزهه عن جميع الشبهات والتجسيد وعن كل صفات المخلوقين (تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا) وذلك ما نرى فى هذه الآيات القرآنية التى وصف نفسه بها وهى قوله تعالى ﴿**لاتدركه الأبصار**﴾ (٢) (ليس كمثله شىء) (٣). . . (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) (٤). . وقال: (سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون) (٥). .

(١) سورة الأنعام آية ٥٩ .
(٢) سورة الأنعام آية ١٠٣
(٣) سورة الشورى آية ١١
(٤) سورة طه آية ١١٠
(٥) سورة الزخرف آية ٨٢

والرسول محمد عليه السلام أمر بالتفكير فى مخلوقات الله ونهى عن التفكير فى ذات الله فقال: (تفكروا فى كل شىء ولا تفكروا فى ذات الله) وهذا قرره الإسلام من تنزيه خالق الكون لم تصل إليه أرقى الفلسفات إلا بعد الإسلام بقرون كثيرة ونشأ فى جزيرة العرب فى ذلك العهد، دليل على أن القرآن وحى إلهى والله أعلم.

(حكمة الله تعالى فى الخلق)

إن من حكمته سبحانه وتعالى أنه أهبط آدم أبا البشر من الجنة لما له فى ذلك من الحكم التى تعجز العقول عن معرفتها فكان إهباطه منها عين كماله ليعود إليها على أحسن أحواله فأراد سبحانه أن يذيقه وولده من تعب الدنيا ووصبها وهمومها وغمومها ما يعظم به عندهم مقدار دخولهم إليها فى الدار الآخرة فإن الضد يظهر حسنة الضد ولو تربوا فى دار النعيم لما عرفوا قدرها وأيضا فإنه سبحانه أراد أمرهم ونهيهم وإبتلاءهم واختبارهم وليست الجنة دار تكليف. لذلك أهبطهم إلى الأرض وعرضهم لذلك لأفضل الثواب الذى لم يكن لينال بدون الأمر والنهى وأيضا فإنه سبحانه أراد أن يتخذ منهم أنبياء ورسل وأولياء وشهداء يحبهم ويحبونه فخلى بينهم وبين أعدائه وأمتحنهم بهم فلما آثروه على أنفسهم وبذلوا نفوسهم وأموالهم فى مرضاته، نالوا من محبته ورضوانه والقرب منه ما لم يكن لينال بدون ذلك أصلا فدرجة الرسالة والنبوة والشهادة والحب فيه والبغض فيه وموالاة أوليائه ومعادات أعدائه عنده من أفضل القربات ولم يكن ينال هذا إلا على الوجه الذى قدره وقضاه من إهباط آدم إلى الأرض وجعل معيشته ومعيشة أولاده فيها وأيضا فإنه سبحانه له الأسماء الحسنى فمن أسمائه الغفور الرحيم، الحليم الخافض، الرافع، المعز، المذل، المحى المميت، الوارث، الصبور ولابد من ظهور آثار هذه الأسماء فاقتضت حكمته أن أنزل آدم وذريته ليظهر عليهم فيها آثار أسمائه الحسنى، فيغفر فيها لمن يشاء ويخفض من يشاء ويعطى ويمنع ويبسط الى غير ذلك من ظهور أثاره وآثار أسمائه وصفاته وأيضا فإنه سبحانه إنما خلق الخلق لعبادته وهى

الغاية منهم، قال تعالى ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**) (١) . .

ومعلوم أن كمال العبودية المطلوب من الخلق لايحصل فى دار النعيم والبقاء إنما يحصل فى دار المحنة والابتلاء وأما دار البقاء فقد أعدها لذة ونعيم لادار إبتلاء وإمتحان وتكليف وإنما ذكرنا ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر والله أعلم .

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦

(الدرس الثالث عشر فى القرآن)

أيها المسلم إن القرآن هو الحقيقة التى ضل الناس عنها وقد طال الزمن على الكتب الإلهية السـابقـة وتناولتها الأيدى بالتبديل والتأويل وبلغت الاختلافات الدينية مبلغا كبيرا وجنت البشرة خطر المسروق من دين الله والاستسلام للوثنية والإلحاد وأصبح العالم فى حاجة إلى وحى من الله يحذرهم مواطن الضلال ويهديهم إلى سواء السبيل وكان اهل كل كتاب يكفرون كل من عداهم واختلوا فى معرفة الحقيقة الإلهية وكنه الدين، فجاء القرآن يبين الحق من الباطل ويبين للناس ما أشكل عليهم، قال الله تعالى (مخاطبا رسوله محمدا عليه السلام

﴿تا الله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى أختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ (١)

---

(١) سورة النحل آية ٦٣ ـ ٦٤

(الدرس الرابع عشر فى الحكمة من بعثه الرسل)

أيها المسلم اعلم رحمك الله أن الاعتقاد ببعثة الرسل ركن من أركان الإيمان يجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يعتقد أن الله أرسل رسلا من البشر مبشرين بثوابه ومنذرين بعقابه وقد قاموا بتبليغ أممهم ما أمرهم الله بتبليغه من تنزيه ذاته وتبين سلطانه القاهر على عباده وتفصيل الأحكام فى فضائل الأعمال وصفات أخرى يطالبهم بها وفى نقائص أفعال ينهاهم عنها، وأن يعتقدوا وجوب الأقتداء بهم فى سيرهم والائتمار بما أمروهم به والكف عما ينهوهم عنه وأن يؤمنوا بأنهم مؤيدون بالعناية الإلهية بما لم تعهده العقول والاستطاعة البشرية وأن هذا التأييد الفائق هو المعجزة الدالة على صدق النبى فى دعوته وقد بعث الله النبى مبشرا ومنذرا قال تعالى **﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم االكتاب بالحق﴾** (١)

فهؤلاء النبيون يبشرون الناس بالخير والسعادة فى الدنيا والعذاب فى الآخرة إذا اتبعو أهواءهم وشهواتهم وأعرضوا عن أوامر الله العزيز الحكيم . .

(١) سورة البقرة آية ٢١٣

(الدرس الخامس عشر فى الايمان بالرسل)

أيها المسلم إن القرآن يدعوا إلى الإيمان بالرسل جميعا قال الله تعالى : ﴿**قولوا أمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**﴾ (١) . .

والخطاب لأمة محمد عليه السلام أمروا بالإيمان بالله وكتبه ورسله وأن لايفرقوا بين أحد منهم ، وقد صرح للقرآن بأن من يؤمن ببعض المرسلين ويكفر ببعض لايقبل منه دين وفى ذلك قال تعالى ﴿**إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا**﴾ (٢)

والقرآن الكريم بنصوص هذه الآيات وضع أساسا للتعاون والتعارف والإخاء والوحدة بين شعوب الأرض لأن الناس أمة واحدة ومتى آمنوا بجميع المرسلين سهل التفاهم بينهم على ما عس أن يكون بينهم من الخلاف وأن هذه الميزه للإسلام اختص بها وجعلت التوفيق بينه وبين غيره من الأديان سهلا ممكنا عندما أوجب على متبعيه الإيمان بأنبيائهم جميعا واحترامهم وأن أهل كل دين يجدون احترام رسلهم فى القرآن ويجدون كلا منهم نقيصة رسوله فى الأديان الأخرى وقد حاول الأكثرون منذ زمن ليس بالقريب، حاولوا التوفيق بين الإسلام والمسيحية واليهودية فباؤا بالفشل وعلة فشلهم فى محاولتهم أنهم فسروا بعض العبارات الواردة فى الأديان بتفسير ظنوه يزيل المناوءه المانعة للاتحاد بينما تعتبر هذه العبارات فى نظر أصحاب

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٦

(٢) سورة النساء آية ١٥٠ ـ ١٥١

الأديان جوهرية وأساسا للدين عندهم فبدلا من أن يوحدوا بين أن رسالة محمد عليه السلام هو خير المذاهب لأنه بعد أن قرر أن الأديان كلها وحى إلهى ، عاد فقرر أن طول الزمن أدى إلى إنحراف الناس عن حقيقة تلك الأديان ، وبعد هذا أخذ الإسلام يدعو الناس كافة إلى العمل بالقرآن الذى جمع فضائل الكتب الإلهية السابقة ويزيد عليها ما إقتضاه تطور الأمم وحاجاتهم والله أعلم . .

(الدرس السادس عشر فى عصمة الرسل)

أيها المسلم إن مما لاشك فيه أن الرسل الذين أرسلهم الله ليحرروا الناس من استرقاق الهوى والشهوات وإرتكاب المعاصى، يجب عليهم أن يكونوا متحلين بأخلاق عظيمة ولو كانوا مخالطين قومهم فى التلبس بسيء الأفعال لكانوا قدوة سيئة ولكانت تعاليم الله عبثا وضلالا لهذا نوه القرآن بفضل الرسل فى قوله تعالى فى سورة الأنبياء بعد أن عدد قسما منهم بقوله **﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾** (١)

ووصفهم الله بقوله تعالى **﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين، أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾**(٢)

ونفى القرآن الخيانة عن جميع الأنبياء فقال تعالى : **وما كان لنبى أن يغل﴾**(٣) . .

وبين القرآن أن لكل رسول ميزة خاصة وهم جميعا على خلق عظيم، وقد جاء فى القرآن عن إبراهيم أنه كان صديقا، وعن موسى أنه كان مخلصا ولوط ونوح وهود وصالح كل منهم بأنه رسول أمين، وعن إسماعيل أنه كان صادق الوعد وعن عيسى أنه كان وجيها فى الدنيا والآخرة، وعن يحيى أنه كان تقيا.

---

(١) سورة الأنبياء آية ٧٣

(٢) سورة الأنعام آية ٨٩ ـ ٩٠

(٣) سورة آل عمران آية ١٦١

(الدرس السابع عشر لكل أمة رسول)

أيها المسلم لقد إقتضت سنة الله فى البشرية أن يرسل فى كل أمه رسولا من أنفسهم ليسلك بهم الطريق الذى يؤدى بهم إلى ما فيه إسعادهم وخيرهم، قال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾ (١)
وقال سبحانه ﴿**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**﴾ (٢)

وقد ذكر القرآن من الرسل خمسة عشر بين نبى ورسول وصرح بأن هناك أنبياء غيرهم فى قوله تعالى مخاطبا رسوله محمدا عليه السلام فقال: ﴿**ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك**﴾ (٣)

(محمد رسول الله إلى كافة الخلق)

أيها المسلم إن رسالة محمد عليه السلام إلى الناس كافة كما صرح بذلك القرآن بخلاف من سبقه من الرسل الذين أرسلوا إلى أممهم خاصة فقال الله تعالى مخاطبا رسوله محمدا عليه السلام بقوله تعالى ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون**﴾(٤)

ويقول تعالى آمراً رسوله محمدا بأعلان هذه الحقيقة إلى الناس كافة فى قوله تعالى ﴿**قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموٰات والأرض لا إله إلا هو**﴾ (٥)

---

(١) سورة النحل آية ٣٦
(٢) سورة فاطر آية ٢٤
(٣) سورة النساء آية ١٦٤
(٤) سورة سبأ آية ٢٨
(٥) سورة الأعراف ١٥٨

(محمد خاتم الرسل)

أيها المسلم أعلم رحمك الله بأن رسالة محمد جعلت خاتمة لجميع الرسالات وناسخة ما تقدم منها وفى ذلك يقول تعالى: ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾(١)

هذه الآية ختمت عهد النبوة وحكمت بأن لانبى بعد محمد علما أنه قد مضى على الخليقة قبل محمد آلاف السنين والأنبياء يتعاقبون فيها نبيا بعد نبى وكانت فى كتب هؤلاء الأنبياء بشارات بأنه سيأتى أنبياء من بعدهم وكل هذا كان يدعو محمدا عليه السلام أن يحجم عن قطع النبوة لو كان القرآن من عند نفسه لأنه يخالف سنة الخليقة وما جرى عليه الأنبياء فلو أن القرآن من عند نفسه لأتى ببشارة من البشارات كما فعل الأنبياء من قلبه ترويجا لأمره بين الناس، لاسيما وأن للناس شغفا بالبشارات وميلا إلى تصديق من يذهب هذا المذهب وقد مضى على هذه الآية أربعة عشر قرنا تقريبا، وهذه المدة الطويلة تكفى لظهور كثيرا من الأنبياء بعد محمد عليه السلام، يتوالى ظهورهم ويعاصر الكثير منهم البعض، فما بالهم إنقطعوا فى هذه المدة وإذا كان هناك طوائف من أتباع الأديان الأخرى لاتعترف بأن محمدا هو النبى الذى بشر به الأنبياء السابقون ولا تزال تنتظر نبيا فإن فى ما مضى من هذه المدة الطويلة ما يكفى لقطع أملها فى ذلك ويدعوها إلى الصواب لتؤمن برسالة محمد عليه السلام ولاشك أن مثل هذا الحكم لايمكن أن يحكم به بشر وإنما هو حكم الله ومعجزة من معجزات القرآن التى تدل على أنه وحى إلهى والله أعلم . .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٤٠

(الدرس الثامن عشر فى ذكر الله وأثاره فى النفوس)

أيها المسلم إن من أهداف الحياة الروحية بث الطمأنينة فى النفس الإنسانية ونبذ الهموم والقلق اللذين هما أعدى أعدائها وذكر الله هو الوسيلة الفعالة للوصول إلى هذا الهدف وإليك البيان إن انشغال الفكر بالهموم المادية أو المعنوية وتوزيع خصائص العقل تحت تأثير القلق على المستقبل وتجاه مختلف أحداث الحياة كل هذه الوساوس والأفكار تعصف بالناس من غير رحمة وتجعل الإنسان عاجزا عن القيام بواجبات هذه الحياة وقد يخيل إلى البعض أن الاسترسال فى الهموم والقلق حالة نفسية لاعلاقة لها بالبدن ولكن التجارب العلمية اثبتت أن الاستغراق فى الهم والتمادى فى القلق حالات فسيولوجية نفسية سرعان ما تضعف وظائف الجسم وتبتلى الإنسان بشتى الأمراض ومصدر الهم والقلق ولكن الإيمان بالله الذى له االتصرف فى هذا الكون والاعتماد عليه يلقى فى نفس الإنسان طمأنينة وقوة تتضاءل أمامها هموم الحياة ويراها شيئا تافها لا يستحق الالتفات إليه والإيمان القوى والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبى وأن يشفيا هذه الأمراض وذكر الله تعالى هو أثر من آثار الإيمان بالله وهو يقهر القلق والتوتر العصبى وهو الغذاء الروحى الذى يمد النفس الإنسانية بالعلاج لدوائها والسكينة التى تحتاج إليها وهذا ما قرره القرآن بقوله تعالى : ﴿**الذين أمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ (١)

وذكر الله هو مظهر لمعرفة الإنسان ربه والثناء عليه ولهذا يصرح القرآن بأن ذكر الله هو الوسيلة للتقرب من الله سبحانه وتعالى وأن الذاكرين لله مجزيون بمحبة الله

---

(١) سورة الرعد آية ٢٨ .

ورحمته وحسبنا هذه الأيات القرآنية فى فضل الذكر وهى قوله تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما﴾** (١)

وقال تعالى: **﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾**(٢).

وإذا بين القرآن فضائل ذكر الله، تراه فى موضع آخر يعلن بأن الإعراض عنه مما يضل الإنسان ويؤدى إلى شقائه ويقول: (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) (٣)

والمعنى والله أعلم أن من يعرض عن ذكر الله ولم يخاف سطوته أو أعرض عن آيات الله يسلط الله عليه شيطانا يلازمه ويغويه ويزين له فعل المعاصى وقد جاء فى القرآن التحذير من الإعراض عن ذكر الله قال تعالى : **﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾** . .

وذكر الله له أثار كثيرة فى تربية النفس، فالذى يذكر الله ربه ويتصور عظمته يخشع قلبه ويلين فلا يصدر عنه من الأفعال إلا كل خير لأنه يعلم أن الله مطلع عليه بينما الذين يعرضون عن ذكر الله خالقهم وينزلقون فى غمرة هذه الحياة ويكون ذلك داعيا لقوة قلوبهم التى ينتج عنها الشر ولذلك حذر الله من الوصول الى هذه الحالة وقال: **﴿ألم يأن للذين أمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما ننزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمر فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾** (٤)

---

(١) الأحزاب آية ٤١ ـ ٤٣

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٥

(٣) سورة الزخرف آية ٣٦ ـ ٣٧

(٤) سورة الحديد آية ١٦

ولشدة عناية الإسلام بذكر الله جعل الصلاة التى يتقرب بها الانسان الى ربه مشتملة على أنواع كثيرة من الأذكار وجعلها خمسا فى اليوم والليلة وطلب الزيادة على ذلك فى الليل وهو ما يطلق عليه اسم التهجّد لان الليل تصفو فيه النفوس وتكون أقدر على المناجاة بروحية لايعكر صفوها أى معكر وهى ما أمر الله به فى قوله تعالى: ﴿**أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا، ومن الليل فتجهد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا، وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا**﴾ (١)..

أيها المسلم فكر فى نفسك هداك الله أى طمأنينة تشعر بها وأنت تقرأ هذه الأيات وأى فيض من إحساس سامى يغمرك فينشلك من هذه الحياة المادية إلى حياة أخرى تشعر فيها بطمأنينة والحياة السعيدة التى لاشقاء معها إنه القرآن ﴿**ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين**﴾ صدق الله العظيم..

(١) سورة الإسراء آية ٧٨ ـ ٨٠

(الدرس التاسع عشر فى الاستغفار وآثاره فى علاج النفس)

أعلم أيها المسلم رحمك الله أن المؤمن المراقب لله فى كافة أعمإله تقل أخطاؤه لامحالة وقد تزل القدم فيأتى الإنسان بما لا ينبغى صدوره عنه فيذكر الله فيرى مبلغ خطيئته فيقلع عنها وهو بادى الألم عميق الحسرة فالمؤمن قد يخطىء والله لم يكلف أحدا بالعصمة إنما كلف المؤمن إذا أخطأ أن يتوب إلى رشده وإذا زلقت قدمه فكبأ أن ينهض من كبوته وأن يزيح ما علق به من إثم، ثم يستأنف طريقه إلى الله وإلى غايته المنشودة لهذا يلتمس الله لعبده عذرا إذا أخطأ عن خطيئته ويحرضه على طلب المغفـرة المؤدى إلى محاسبـة النفس ومـراقبة الله التى تحيى موات الضمير وكفارة الخطيئة فى الإسلام لاتحتاج إلى إعتراف لرجال الدين ولاتبقى معلقة على رأس الفرد لامخلص له منها ولا فرار بل إن فى إستطاعة أى إنسان فى الإسلام أن يتوب ويتوجه إلى ربه مباشرة نادما على فعل الذنب الذى إقترفه طالبا المغفرة من ربه ليفتح له بابه ويمنحه عفوه ورحمته قال الله تعالى: ﴿**ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما**﴾ (١)

ويذكر الله صفات المؤمنين الذين يستحقون مغفرة الله تعالى فيقول: ﴿**والذين إذا فعلوا فاحشـة أو ظلمـوا أنفسهم ذكـروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم**﴾ (٢)

ويعمم الله المغفرة والقبول فى رحمته لكل من تاب وأناب إليه مهما إقترف من

(١) سورة النساء آية ١١٠

(٢) سورة آل عمران آية ١٣٥ ـ ١٣٦

الإثم فى قوله تعالى : ﴿**قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**﴾ (١)

والإسلام يجعل فرصة التطهر والتخلص من الإثم ممزوجة بالتزام فعل الخير والتزود منه فيجعل عمل الخير تكفيرا للآثام وفى ذلك ما فيه من التحريض على الدنو من عمل الخير. قال الله تعالى : ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾ (٢)

ويخبر أيضا أن الحسنات تؤدى إلى المغفرة فى قوله تعالى : ﴿**وآخرون إعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم**﴾ . . (٣)

ويقول الرسول ﷺ فى هذا المعنى وأتبع السيئة الحسنة تمحها فإيمان الإنسان بأن الله يغفر الذنوب جميعا وإن استغفار العبد المؤمن الصابر الشاكر من وسائل العلاج النفسى ، لذلك يستعين به نظرية الإعتراف بالذنوب أمام الله تعالى من نظرية قرآنية لها أثارها فى النفس الإنسانية ، فالقرآن ذكر مثال عن الاعتراف بالظلم فى ما صدر عن النبى (ذ النون) وكان فائدة هذا الاعتراف النجاة من الحزن والكرب وهو فى جوف الحوت فى قوله تعالى ﴿**وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين**﴾ (٤)

أيها المسلم أنظر إلى قوله تعالى وكذلك ننجى المؤمنين . فهو إيحاء قوى للمؤمنين للأخذ بهذا الهدى الذى فيه النجاة لهم مما يشعرون به من الحزن والحرج والضيق من جراء تبكيت الضمير عند إقتراف الظلم والذنوب ، هذا ما يحمله هذا الاعتراف من النفحات الإلهية التى ترفع عن الإنسان الكوارث والافات الطارئة كما أن القرآن ضرب مثلا آخر عن الاعتراف بالذنوب بما صدر عن آدم وحواء عند

(١) سورة الزمر آية ٥٣

(٢) سورة هود آية ١١٤

(٣) سورة التوبه آية ١٠٢

(٤) سورة الأنبياء آية ٨٧ ـ ٨٨

مخالفتهما لأمر الله بما جعله الله أمثولة للمؤمنين، إذ قال : **﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾** (١)

فائدة الاستغفار

أيها المسلم : القرآن يجعل الإقلاع عن الذنوب والاستغفار منها وسيلة لنيل رحمة الله ونيل الخيرات والعطايا فى الحياة الدنيا فى قوله تعالى : **﴿ياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوه إلى قوتكم ﴾**(٢)

ويقـول سبحـانه وتعالى فى ما جاء على لسان نوح عليه السلام : **﴿استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾** (٣)

ويخاطب الله نبيه محمدا عليه السلام بقوله **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾**(٤)

(أثر) كان بعض صحابة رسول الله ﷺ يقول بعد وفاة رسول الله عليه السلام كان لنا أمانا ما دام فينا فلما ذهب بقى الاستغفار معنا فإن ذهب هلكنا هكذا نرى الصحابة رضى الله عنهم مستنبطين ذلك من قوله تعالى : **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾** والله أعلم

---

(١) سورة الاعراف آية ٢٣

(٢) سورة هود آية ٥٢

(٣) سورة نوح آية ١٠ ـ ١٢

(٤) سورة الأنفال آية ٣٣

(الدرس العشرون فى التوبة وأثارها فى تقويم الأخلاق)

أيها المسلم قد يضل كثير من الناس فى فهم النصوص السابقة فى الاستغفار فيخيل إليه أن المغفرة متيسرة له بلا نظام مهما فسق ومهما إقترف من المعاصى والآثام كلا كلا إن الأمـر ليس كما يزعم الغافل عن تدبير آيات القرآن العظيم وليست المسألة كلمات ترددها الشفاه بلا ندم على ما فعله من المعاصى وما ارتكبه من الآثام وبلا ارتداع عما يسوء وبلا عزم أكيد على ألا يعود وعزم أكيد على الاستقامة لذلك فإنه يشترط لنيل مغفرة الله التوبة من المعاصى والتوبة فى حقيقة الأمر هى الرجوع إلى الله، وإذا أضيفت التوبة إلى الإنسان أريد بها رجوعه عن الزلات التى ندم على فعلها كما يقول صاحب قوة القلب إن من شروط التوبة أن يبدأ التائب بمنابذة أهل المعاصى ثم بنفسه التى كان يعصى الله بها فلا ينالها إلأ مالا بد منه ثم العزم الأكيد على أن لايعود فى معصية أبدا ويلقى عن الناس مؤنته ويدع كل ما يضطره إلى جريرة والتوبة أولاها القرآن عناية فائقة ورددها فى كثير من الآيات مثل قوله تعالى: ﴿ **فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم**﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿**كتب ربكم على نفسه الرحمة، أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم**﴾ (٢)

والتوبة التى يطلبها القرآن يجب أن تكون عقب ارتكاب المعصية مباشرة فلا يترك المسلم المرض حتى يتفاقم ويستعصى على العلاج فإن المعصية هى المرض والتوبة هى العلاج، قال الله تعالى: ﴿**إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء**

---

(١) سورة المائدة آية ٣٩

(٢) سورة الأنعام آية ٥٤

بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما﴾(١)

وقد إشترط الله لقبول التوبة أمرين أن يكون عمله أى التائب بجهالة أى لايعرف أنه سوء أو يترتب عليه عقوبة (٢)

الثانى أن يأتى بتوبة فى وقت قريب من وقت الفعل حيث أنه حين يعلم من نفسه أنه وقع فى معصية توجب العقاب من الله يندم على فعله ويبادر بالرجوع إلى الله بالتوبة والاستغفار أما إذا تعود الإنسان على فعل السوء واطمأن إليه وظل على تلك الحالة حتى اقترب أجله فإن الله لايقبل تلك التوبة التى بهذه الصفة فيها نوع من الاستهزاء والاستهتار بحدود الله وذلك زيادة فى المعصية إن الله لايمحو السىء بالسىء قال تعالى: ﴿ **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما﴾**(٣) . .

والقرآن يعرف العمل الصالح مع التوبة لنيل مغفرة الله ورضوانه فيقول **﴿إلا من تاب وأمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما﴾**(٤)

فالتوبة هى من أهم الدعائم الخلقية فكل تأخير فيها هو إخلال فى الشخصية الإنسانية وسبب قوى للقضاء على الخير بأنواعه والله أعلم»

---

(١) سورة النساء آية ١٧

(٢) ليس المقصود بالجهالة هنا هو عدم العلم والا لما قبلت توبة أكثر المسلمين وإنما المقصود هنا ما قاله مجاهد كل من عصى الله خطأ أو عمدا فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب كان أصحاب رسول الله يقولون لو كل ذنب أصابه فهو جهالة .

(٣) سورة النساء آية ١٨

(٤) سورة الفرقان آية ٧٠

الدرس الواحد والعشرون فى عبادة الله وأثرها فى تحرر الانسان من الطغيان

أيها المسلم هناك سؤال يتبادر إلى الإنسان فى ساعة صفاء ذهنه وفى حالة التفكير فى نفسه لماذا خلقت وما هى الغاية من خلقى هذا السؤال كان مدار البحث والتفكير عند الفلاسفة ولم يهتدوا إلى رأى ثابت فى حل أسراره والقرآن يجيب على ذلك ويكشف سرا من أسرار هذه الحياة والغاية من خلق الإنسان وهى عبادة الله، قال تعالى : ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ (١)

فعبادة الله هى أقصى غاية الخضوع والتذلل له مع طاعته وهذا يقضى عدم الخضوع لأحد كائنا من كان على الأرض من دون الله لأنهم كلهم مربوبون لله وهذا ما صرح به القرآن فى قوله تعالى : ﴿**إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه**﴾ (٢)

﴿**ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه**﴾ (٣)

وعلى هذا فلا يجوز لكائن من كان أن يعلو فى الأرض ويتكبر على الناس ويقهرهم حتى يخضعوا له ويذعنوا لأمره وينقادوا لجبروته يأمرهم بما يشاء وينهاهم عما يريد كما فعل المتكبرون من قبل والذين يخضعون لأمثال هؤلاء إنما يشركون بالله الأمر الذى يبعث على الفساد فى الأرض ومنه تتفجر ينابيع الشر والطغيان فالإسلام إذا أمر بعبادة الله فإنما يرى فى ذلك غاية كريمة وهى تحرير الإنسان من العبودية التى لازمته السنين الطوال من ملوك الأرض وزعمائها اﻻطاغين ورؤساء الدين المتألهين وأن ينزع من ذهن الإنسان ذلك الوهم بأنهم من طينة أفضل من طينته

(١) سورة الذاريات آية ٥٦

(٢) سورة يوسف آية ٤٠

(٣) سورة الأنعام آية ١٠٢

وأنهم من عنصر أفضل من عنصره وأن بيدهم النفع والضر، لهذا يقول الله تعالى: **﴿قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا﴾** (١)

ويقول سبحانه: **﴿ إن الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق﴾** (٢)

ولهذا أرسل الله الرسل فى كافة العصور للناس ليدعوهم إلى عبادة الله وحده وعدم خضوعهم لسواه قال الله: **﴿لقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله وإجتنبوا الطاغوت﴾** (٣)

الطاغوت هو كل معبود دون الله وأن الشقاء الذى ينتاب الجنس البشرى مرده إلى عدم فهمهم هذه الحقيقة فآلهوا بعضا من أفرادهم الذين علوا فى الأرض وأستذلوا البشر وساقوهم إلى التناحر وجعلوا الإنسانية شيعاً يحارب بعضها بعضا ولهذا يدعو الله الناس جميعا بقطع النظر عن ألوانهم وأجناسهم إلى التوجه إلى عبادته وحده.

أيها المسلم أنظر إلىٰ هاتين الآيتين اللتين تفيض عباراتها بالشعور الحى فتستجيب النفس لنداء الله إذا كانت ذات عقل ووجدان قال تعالى: **﴿يأيها الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾** (٤)

أيها المسلم أنظر فى مخلوقات الله وتدبر آياته وأعلم أن العبادة لها مستلزمات وليست العبادة منحصرة بمعناها الواسع فى الخضوع لله فقط بل إن لها مستلزمات بجانب معنى الخضوع لله والشكر لله والتوكل على الله والإخلاص لله والدعاء لله، وقد بين القرآن هذه الفروض التى يجب أن يقوم بها الانسان لإنها من العبادة التى خلق الله الناس لأجلها وإليك عرضا وتحليلا لكل قسم منها على ضوء ما جاء فى القرآن من الدعوة إليها وبالله التوفيق»

---

(١) سورة المائدة ٧٦

(٢) سورة العنكبوت آية ١٧

(٣) سورة النحل آية ٣٦

(٤) سورة البقرة آية ٢٠ـ٢٢

(الدرس الثانى والعشرون فى فضل الشكر لله وآثاره فى سعادة الأمم)

أيها المسلم إن العلماء عرفوا الشكر بأنه ظهور أثر نعمة الله على لسان عباده ثناء وأعترافا وعلى قلبه شهودا ومحبة وعلى جوارحه انقيادا وطاعة فالشاكر فى عرفهم هو من يكون لسانه مشتغلا بالثناء على ربه معترفا له بنعمته كلها ويكون مع ذلك قلبه مملوءا بمحبة الله على هذه النعم وإعترافا بأنها منه عز وجل فضلا وإحسانا ليس عليه واجب وتكون جوارحه مشتغلة بطاعته التى دعا إليها القرآن بقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين أمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون**﴾(١)

ولهذا كان الشكر من مظاهر العبادة وهنا كلمة الشكر من جوامع الكلم التى تنتظم كل خير وتشمل كل ما يصلح به قلب الإنسان ولسانه وجوارحه فالذى لايحب الله ولا يشهد بأن ما فيه من النعم إنما هى من الله فضلا وإحسانا ليس بشاكر أو الذى لايثنى على ربه ولا يحمده بلسانه وقلبه ومع ذلك يخوض فى الباطل ويشغل لسانه بلغو القول ولهو الحديث ليس بشاكر ، والذى يعطيه الله من العلم شيئا ولا يعمل به ويعلمه الناس ليس بشاكر والذى يعطيه الله من المال ولم يستعين به على طاعة الله ويصرفه فى وجوه البر والخير أو يبخل به أو يصرفه فى معاصى الله ليس بشاكر، لهذا دعا الله إلى التخلق بالشكر فى كثير من الآيات فى قوله تعالى: ﴿**بل الله فاعبد وكن من الشاكرين**﴾(٢) .

ومدح الله نبيه إبراهيم لقيامه بواجب الشكر بقوله تعالى: ﴿**إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين، شاكر لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم**

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٢

(٢) سورة الزمر آية ٦٦

وأتيناه فى الدنيا حسنة وإنه فى الأخرة لمن الصالحين﴾ (١)

كما تفضل الله عز وجل بعدم عذابهم بقوله تعالى : ﴿وما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾ (٢)

ووعد الله الشاكرين بأن يزيدهم النعيم فى الدنيا ويحفظها لهم فقال : ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد﴾(٣)

والإنسان عليه واجب الشكر نحو خالقه فإن لم يفعل كان بذلك مقترفا أشنع أنواع الجحود والنكران ألا ترى أننا ننكر على الشخص الذى لايشكر من أحسن إليه وهو من جنسه من البشر فما بالك بمن لايشكر خالقه وهو مصدر كل النعم ولايمكن أن تكون مقربين إلى الله تعالى من غير شكره وهذا ما أمر الله به فى آيات متعدده مثل قوله تعالى : ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾(٤) .

ويقول سبحانه ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ، ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون﴾ (٥) .

ويقول سبحانه ﴿الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه﴾(٦) .

ويقول سبحانه فى موضع آخر ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله

---

(١) سورة النحل آية ١٢٠ ـ ١٢٢

(٢) سورة النساء آية ١٤٧

(٣) سورة إبراهيم آية ٧

(٤) سورة النحل آية ٧٨

(٥) سورة يس آية ٣٣

(٦) سورة الجاثية آية ١٢ ـ ١٣

عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إلٰه غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (١) . .

أيها المسلم تدبر هذه الآيات وما تضمنته من وجوب الشكر لمدى هذه النعم تجد الناس أمام هذه النعم وغيرها قليلا ما يشكرون .

وهنا نقول لك أيها المسلم إن منفعة الشكر لاتعود على الله عز وجل فإنه سبحانه لاينتفع بشكر الشاكرين ولا يتضرر بكفر الكافرين وإنما منفعة الشكر عائدة على الشاكرين أنفسهم إذاً فالشكر يطهر نفوسهم ويقربها إلى الله ويوجه إرادتها إلى الوجهة الصالحة فى إنفاق النعم فى وجوهها المشروعة ولهذا تراه هو يقول **﴿ ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد﴾**(٢) . .

أيها المسلم أعلم رحمك الله أن كفران النعم يعرضها للزوال والضياع حيث أن الانسان إذا كان غير مبالى بنعمة الله التى أنعم بها عليه ومبددها فى غير منفعة ومتلف جميع ما أنعم الله عليه به من الصحة والعافية إلى غير ذلك من النعم التى لاتحصى ومع ذلك يسير على غير المنهج الذى رسمه الله خالقه وخالق العالم جميع ما يصلحه ، فإن هذا السلوك المنحرف عن فطرة الله التى فطر الناس عليها يؤدى به إلى غضب الله وأليم عقابه ويبعده من رحمة الله ، وفى ذلك يخبرنا القرآن بأن خراب الأمم كان سببه كفران النعم وعدم الشكر لله عليها فيقول : **﴿ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾** (٣)

وذكر القرآن قصة قوم سبأ فقال: **﴿لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا**

---

(١) سورة القصص آية ٧١ - ٧٣

(٢) سورة لقمان آية ١٢

(٣) سورة النحل آية ١١٢

فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتهم جنتين ذواتى أكل خمط (١) وأثل (٢) وشى من سدر (٣) قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجزى إلا الكفور﴾ (٤)

فالشكر أيها المسلم دعامة من دعائم سعادة الأمم والتنكب عنه لايجلب إلا الدمار والخراب فيا حبذا لو فهمته الشعوب وعملت به لتحصل على السعادة التى تنشدها وهى عنها غافله، فاحذر أيها المسلم أن تغفل عن ذكر الله وعن شكره عز وجل على كل حال، أى فى السراء والضراء وحين البأس وقد جاء عن النبى ﷺ أنه قال **عجبت من أمر المؤمن كله له خير إن أصابته نعماء شكر ذلك خير له وإن اصابته ضراء صبر ذلك خير له، وليس ذلك إلا للمؤمنين . . . والله أعلم . .**

(١) مأكول مرا بشع.

(٢) أثل أى شجر يشبه الطرفاء لا ثمر له يؤكل.

(٣) سدر أى شجر النبق.

(٤) سورة سبأ آية ١٥-١٧

الدرس الثالث والعشرون فى (الاخلاص لله)

أيها المسلم الإخلاص هو أن يأتى الإنسان بأعمال نقية لايشوبها رياء ولا سمعة قياما بالواجب سواء فى العبادة أو فى سائر الأعمال قاصدا بذلك وجه الله ورضاه فالإخـلاص من الصفـات الروحية التى تسمو بالمرء إلى منزلة رفيعة من الخلق الإنسانى فالأهواء النفسية والرياء والغايات الشخصية يحاربها الإسلام ليحل محلها الإخـلاص لله ولذلك أولاها الإسلام إهتماماً خاصا وقرنه بالعباده قال تعالى: ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**﴾ (١)

وقال الرسول محمد ﷺ : «أول من يسأل يوم القيامة ثلاثة رجل أتاه الله العلم فيقول الله له ما صنعت فيما علمت ، فيقول يارب كنت أقوم به آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم وقد قيل ذلك. ورجل أتاه الله مالا فيقول الله له لقد أنعمت عليك فماذا صنعت فى ما أنعمت به عليك فيقول كنت أصدق أناء الليل وأطراف النهار فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد وقد قيل ذلك، والثالث رجل جاهد فى سبيل الله فقتل فيقول الله له لقد جاهدت ليقال فلان شجاع وقد قيل ذلك ثم قال الرسول لأبى هريرة أولئك أول خلق من خلق الله تسفر بهم جهنم يوم القيامة (٢)

ولما كانت الأعمال الخالصة لله وحده لابد لها من سابق نية وعزم نجد الإسلام يهتم بالنية ويجعلها محورا تدور عليه أعمال العبد، وفى ذلك قال ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله كانت هجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصبها أو امرأه ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه (٣). .

---

(١) سورة البينة ٥ (٢) رواه أصحاب السنن (٣) رواه البخارى ومسلم.

فالنية الطيبة هى عنصر من عناصر التربية الخلقية التى تجعل الإنسان عضوا ممتازا فى المجموعة الإنسانية وقد جعلها الإسلام الأصل فى قبول الأعمال عند الله خالصة له أخى المسلم إن حسن النية هو الكل فى الكل فى الإخلاق فالخير فى الإسلام لايكون خيرا إلا إذا كان صادرا عن نية خالصة لوجه الله صوابا على سنة رسول الله وكذلك العمل الطيب لايكون طيبا إلا إذا استنار بأوامر الله خالصا لوجه الله صوابا على سنة رسول الله ، ولاشك أن هذا العمل بهذه الدرجة وعلى هذه الصفة من الإخلاص والالتزام بالسنة يكون مذهبا جليلا فى تقدير الرجال والأعمال ويصحح الأوضاع ويسمو بالمجتمع إلى مستوى رفيع من الكمال إذ يجعل الأقوال والأعمال منوطة بغاية واحدة ومثل أعلى ألا وهو الله فلا يحب المؤمن ولا يبغض ولايفعل ولا يشرك إلا لله ، والله عز وجل لايأمر إلا بما كان خير للشخص والمجتمع الأنسانى كله والله أعلم .

(الدرس الرابع والعشرون فى الاستقامة)

أيها المسلم قد يتنازع الإنسان فى هذه الحياة عاملان، عامل الخير وعامل الشر وكثيرا ما ينساق الإنسان إلى أحدهما بدافع داخلى أو مؤشر خارجى والدين من أهم أهـدافـه وقاية الإنسان من نزعات الشر مبينا ضرره والتحذير منه ودعوة الذين تورطوا فيه إلى الاستقامة تبعا لما رسمه الله لعباده، فالاستقامة هى أقوى سبب فى الرقى الأدبى وما سيطرت هذه الرغبة فى قوم إلا صلح حالهم واستقر السلام بينهم والإنسان إذا لم تصاحبه الرغبة فى الاستقامة ضعف إقباله على الخير وأصبح هدفا سهلا للتورط فى الآثام لهذا نرى الإسلام أولى الاستقامة اهتماما خاصا ودعا إليها بأسلوب شائق يستهوى الأنفس ويؤثر فى أعمق أعماقها بها وعد المستقيمين به من الأجر العظيم وحسن المثوبة فى الدين والدنيا والآخرة، قال سبحانه﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الأخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم**﴾ (١)..

ويطمئنهم الله بقـوله تعالى ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ (٢)..

أى فلا خوف عليهم من عذاب يوم القيامـة ولا هم يحزنـون على ما خلفـوا وراءهم بعد موتهم، وقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال أوصينى يارسول الله، فأجـابه الرسول بهذه الجملة الوجيزة الرائعة (قل أمنت بالله ثم استقم) (٣)

(١) سورة فصلت آية ٣٠ - ٣١

(٢) سورة الأحقاف آية ١٣

(٣) رواه البخارى.

وإصلاح النفس مما يتوافق مع معنى الاستقامة لأن التمادى فى الشر يجر إلى أوخم العـواقب على النفس الإنسـانية وعـلى المجتمع ولهذا وعد الله الذين يصلحون أنفسهم بالغفران والرضى ، قال تعالى : ﴿**فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم**﴾ (١)

ويخاطب الله الانسانية جميعا بقوله ﴿**يا بنى أدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ (٢)

ومما ينسجم مع الاستقامة ما عبر عنه القرآن أيضا بتزكية النفس ومعناها الطهر من الأدران والأدناس ، والسمو عن النقائص ووضع النفس حيث يطيب موضعها ويرتفع قدرها لتأخذ عند الله حظها من الرضوان وتأخذ بين الناس نصيبها من الكرامة ولقد حث القرآن على تزكية النفس هذه ووعد بالصلاح من أخذ بها فقال سبحانه : ﴿**قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها**﴾(٣)

وبين سبحانه أن تزكية النفس لايعود نفعها إلا على صاحبها فلهذا يجب الحرص عليها وقال فى ذلك ﴿**ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير**﴾(٤) . .

أيها المسلم إن الاستقامة وإصلاح النفس وتزكيتها من الصفات الحميدة التى تفتح باب الأمل للذين تورطوا فى الأثام لتغير حياتهم إلى حياة أفضل وإصلاح النفس هو الذى يحول بين الإنسان وبين اليأس الذميم ، والله أعلم .

---

(١) سورة المائدة آية ٣٩.

(٢) سورة الأعراف آية ٣٥.

(٣) سورة الشمس آية ٩ ـ ١٠

(٤) سورة فاطر آية ١٨ .

(الدرس الخامس والعشرون فى الاحسان)

أيها المسلم عرف الإحسان بمعنى الإنعام والتفضل لأن معنى الإحسان يتسع لأكثر من ذلك فإذا رجعنا إلى معاجم اللغة رأينا معنى أحسن أى فعل الفعل الحسن والحسنة هى الفعل الحسن والأفعال الحسنة تشمل كل خير وكل معاملة ترقى وترفع من شأن الإنسانية وتهذب نفسية المرء وتقربه من خالقه وعلى هذا المعنى جاءت وصايا القرآن فى الدعوة إلى الإحسان والترغيب فى أتيانه وأن تعاليم القرآن فى الإحسان تشهد بأنه كتاب روحى يرتقى إلى أعظم مراقى السمو يعلو عن مذهب أخلاقى أودينى فقد عالج الإحسان بما يؤثر فى الشخصية الإنسانية من دوافع العمل وشرح صفات المحسنين وعين فئات من الناس هم أحق بالإحسان من غيرهم ودعى إلى الإحسان الذى يحقق للإنسانية المثل العليا التى لازال يدعو إليها الفلاسفة ودعاة الإصلاح فى العالم.

أيها المسلم إن القرآن الكريم يبين لك أن الإحسان يجب أن يكون الواجب الطبيعى للإنسان بنعمته عليك أوجب عليك أن تحسن بهذه النعم إلى الخلق فى قوله تعالى ﴿**وأحسن كما أحسن الله اليك**﴾(١) . .

وبين لك أيضا أن الإحسان تعود منفعته إلى المحسن نفسه فى قوله تعالى : ﴿**إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها**﴾ (٢) . .

وهذا حق فإن المحسنين يشعرون بطمأنينة لايشعر بها غيرهم ويكفى ما يقابلون به وما يعاملون به من الذين يحسنون إليهم من الود والمحبة والتقدير مما يدخل السعادة إلى نفوسهم بينما الإساءة تجعل صاحبها منبوذا محتقرا لا يهنأله عيش ولا

---

(١) سورة القصص آية ٧٧.

(٢) سورة الاسراء آية ٧.

يقر له قرار لهذا أمر الله بالإحسان وإيتاء ذى القربى وألح على ذلك بقوله ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى**﴾(١) . .

وكـذلـك أيهـا المسلم فإن القـرآن رفـع منزلة الإحسان وقرنه بالإخلاص لله ووصفهما بأنهما أرفع ما يتحلى به الإنسان المتدين فى قوله تعالى ﴿**ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن**﴾(٢) . .

والمعنى والله أعلم ليس أحـد أحسن دينـا ممن أخلص نفسـه وجعلها سالمة لاتعـرف لها ربا ولا معبودا سواه وهو محسن أى عاملا للحسنات تاركا للسيئات ويقول سبحانه ﴿**ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى**﴾ (٣) . .

أى فقـد تعلق بأوثق الأسباب التى توصله إلى رضوان الله وقد رغب الله فى الأتيان بالحسنات بقوله تعالى ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**﴾(٤) . .

ووعد الله المحسنين بحسن المثوبة والأمان يوم القيامة بقوله ﴿**من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ أمنون**﴾(٥) . .

تدبـر أيهـا المسلم الآيات الكـريمة فإنه سبحانه وتعالى اشترط فى هذه الآية المجىء بالحسنة ولم يكتف بعملها (من) ذلك (معلم) أن السيئات يبطلها صالح الأعمال كما أن الحسنات يذهبن السيئات ، فتنبه لذلك وأمثاله رحمك الله ، وكذلك أيها المسلم إن من صفات المحسنين فى القرآن قيامهم أكثر الليل وإنهم فى أواخر الليل يطلبون المغفرة من ربهم ومن صفاتهم إنهم يجعلون فى أموالهم نصيبا للسائل والمحروم ليسد به حاجته ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿**إن المتقين فى جنات وعيون أخـذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا من الليل ما**

(١) سورة النحل آية ٨٩

(٢) سورة النساء آية ١٢٥

(٣) سورة لقمان آية ٢٢

(٤) سورة الأنعام آية ١٦٠

(٥) سورة النمل آية ٨٩.

يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفى أموالهم حق للسائل والمحروم﴾(١) . .

فقيامهم بالليل فى الصلاة وفرض الحق فى أموالهم للسائل والمحروم ومن خصال الإحسان بل من أرفعها وكذلك أيها المسلم الجهاد فى سبيل الله بجميع أنواعه بالنفس والمال هو من الإحسان قال الله تعالى: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾** (٢)

وكذلك أتباع سنة رسول الله وما جاء بالصدق به من ربه هو من الإحسان قال الله تعالى : **﴿والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين﴾** (٣)

والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون . والمعنى والله أعلم الذى جاء بالصدق هو الرسول عليه السلام (وصدق به) هم أتباعه الذين صدقوا برسالته وساروا على طريقه وكذلك القول فى الإحسان قال تعالى : **﴿فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾** (٤)

والصبر كذلك هو من الإحسان قال الله تعالى : **﴿وأصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين﴾**(٥) . .

أيها المسلم أنظر هداك الله ووفقك لتدبير آياته والعمل بها إنه ولى التوفيق ، أنظر كيف رغب القرآن فى الإحسان فى تدليل الآيات التى ذكرها ووعد المحسنين بأرفع ما تصبوا إليه النفس وذلك لأن المحسنين ذوو إحساس مرهف وضمير حى فربما يصيبهم الجحود من قومهم أو يجور عليهم الزمان من هنا تسرع وصايا القرآن بمواساتهم وتخفيف ما بهم وتبشيرهم برضوان الله فتمد المحسنين بقوة روحية تثبت أقدامهم وتطمئن قلوبهم كما أن الإحسان يحتاج إلى تضحية ومجاهدة للنفس من

---

(١) سورة الذاريات آية ١٥-١٩

(٢) سورة العنكبوت آية ٦٩ .

(٣) سورة الزمر آية ٣٣-٣٤

(٤) سورة المائدة آية ١٣

(٥) سورة هود آية ١١٥ .

المحسن وعـدم الانقياد للنفس الأمارة بالسوء لهذا رغب الله فى الإحسان ببيان فضله وثـوابـه للتـأثير على النفس الإنسانية والتسلط عليها لاستساغة الإحسان وجعله من طبعها وقد جعل القرآن فئات من الناس أحق بالإحسان من غيرهم وأولهم الوالدان لما لهما من الفضل العظيم، ولم يكتف القرآن بالدعوة إلى الإحسان إليهم بل بين كيفية معـاملتهم بما يكشف لنا أروع مثل فى السمو الخلقى بقوله تعـالى : ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فللا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا**﴾(١) . .

أيها المسلم تدبر هذه الآيات القرآنية وما يطالعك فيها من أسرار حكمة الله حيث جعل لأول مرة قرن الإحسان إلى الوالدين بعبادته ثم فضل ما يجب من الإحسان إليهما وخصوصا عندما يصل الوالدين إلى حال الضعف أو العجز فى أخر العمر وأمر بأن يتبع معهما أمور خمسة وهى غاية ما يصدر عن الإنسان من المعاملة الحسنة أولا أن لا تتأفف من شىء تراه منهما ثانيا ألا تنغص عليهما بكلام تزجرهما به ثالثا أن تقول لهما قولا حسنا طيبا مقرونا بالاحترام رابعا أن نتواضع لهما تواضع مقرونا بالرحمة وقد مثل كيفية هذا التواضع بحال الطائر إذا أراد ضم فراخه إليه فإنه يخفض له جناحه بحنو، خامسا أن ندعو الله أن يرحمهما وذلك عرفانا بالجميل ويخص القرآن بعض الناس بالإحسان إليهما لما بينهما وبين المحسن من رابطة القرابة والجـوار ولفئـات من النـاس قد فقدوا المعين والنصير فكان الواجب المبادرة إلى الإحسان إليهم ومن ذلك قوله تعالى﴿**وأعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسـانـا وبـذى القـربي واليتـامى والمسـاكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم**﴾ (٢) . .

أنظر أيها المسلم فى هذه الآية كيف جمعت وكم جمعت من أنواع الإحسان ما لو عمل به الناس لساد الخير بينهم وفيهم من ذلك عبادة الله وحده والإحسان إلى

---

(١) سورة الاسراء آية ٢٣ ـ ٢٤ .

(٢) سورة النساء آية ٣٦ .

الوالدين وذوى القربى من أخ وعم وخال وأولادهم الأقربين وبذلك تصلح الأمة لانها تتكون من مجموعة أسر، ثم أمر الله بالإحسان إلى اليتامى لأنهم فقدوا المعين وهو الأب وقلما تستطيع الأم أن تقوم بتربيتهم ورعايتهم وإذا أهملوا أى اليتامى أصبح وجودهم جناية على الأمة لجهلهم وفساد أخلاقهم وكذلك الجار الجنب أى البعيد الجوار وبذلك تتوثق عرى المحبة بين أهل الحى الواحد فيتعاونون على الخير ويتواصون به ثم أوصى الله بالإحسان إلى الصاحب بالجنب وهو الرفيق فى السفر أو الزميل فى العمل أى عمل فى الإحسان إليه يؤدى إلى صداقته المتينة المثمرة أطيب الثمار، ثم أوصى الله بالإحسان إلى أين السبيل وهو المسافر الذى فقد حاله فى الطريق قبل أن يبلغ بلده وكذلك ما ملكت أيمانكم أى ما فى ملك الإنسان من الرقيق ويشمل هذا تحريرهم والإحسان إليهم فى جميع معاملاتهم.

أيها المسلم أى خير عميم يغمر الناس إذا اتصفوا بهذه الصفات أى صفات الإحسان إنهم أحرى بأن يحققوا المدنية الفاضلة التى طبقها الإسلام فى أول عهده الزاهر والله أعلم»

(الدرس السادس والعشرون فى التقوى)

أيها المسلم: التقوى هى مأخوذة من الوقاية والمراد بها أن يتقى الإنسان ما يغضب ربه وما فيه ضرر نفسه أو ضرر لغيره فالتقوى فى أصل معناها جعل النفس فى وقاية ولا تجعل النفس فى وقاية إلا بالنسبة لما يخاف فخوف الله أصلها والخوف يستدعى العلم بالمخوف ومن هنا كان الذى يعرف الله هو الذى يخشاه والذى يخشاه هو الذى يتقيه فالمتقون هم الذين يقون أنفسهم عذاب الله وسخطه فى الدنيا والأخرة وذلك بالوقوف عند حدوده وإمتثال أوامره وإجتناب نواهيه وهو لا يأمر إلا بما فيه خير للإنسانية ولاينهى إلا عما يضرها وقد عنى القرآن بالتقوى عناية كبرى وأكثر من الأمر والتوجيه للنفوس المؤمنة إليها وكانت له فى ذلك أساليب مختلفة أمر الله بالتقوى فى قوله تعالى: ﴿**يأيها الذين أمنوا إتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾ (١) . .

وذلك يكون بالتوجه إلى الله وحده فى العباده وإجتناب ما يأباه من الشرك والخروج عن شرائعه وأحكامه العادلة ووصف القرآن التقوى بأنها صيانة النفس عن كل ما يضر ويؤذى والابتعاد عن كل ما يحول بين الإنسان والغاية النبيلة التى بها كماله فى جسمه وروحه ولهذا وصف المتقين بأنهم الذين تحلوا بالفضائل الإنسانية الحقة وفى ذلك قال الله تعالى: ﴿**ليس البر أن تولو وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وأتى الزكاة والموفون بعدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**﴾ (٢) . .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٢ .
(٢) سورة البقرة آية ١٧٧ .

فالمتصفـون بهذه الصفات السامية هم الذين وصفهم الله بصفة التقوى ولا تقتصر التقوى فى القرآن على هذه الصفات بل يضاف إليها الصفات التالية فالعدل من التقوى قال الله تعالى: ﴿**وأن تعفوا أقرب للتقوى**﴾(١) . .

والاستقـامـة مع الأعداء هى من التقوى فى قوله تعالى: ﴿**فما استقامو لكم فاستقيمو لهم ان الله يحب المتقين**﴾(٢) . .

وفى ثمـرة التقـوى ذكر القرآن أن التقوى تجعل الانسان فى أمن من الخوف والحزن يوم القيامة وله النصر والتوفيق فى هذه الحياة ﴿**ألا أن أولياء الله لاخوف عليهم وهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة**﴾(٣).

ومن ثمرات التقوى الثواب العظيم والنعيم المقيم فى الأخرة (للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار؛ (٤) . .

ومن ثمـراتهـا أيضـا نيل رحمة الله تعالى فى قوله ﴿**ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بأياتنا يؤمنون**﴾ (٥) . .

ومن ذلك ما ذكره القرآن فى معرض تفريج الآزمات وحل المشكلات فى قوله تعالى ﴿**ومن يتقى الله يجعل له من أمره يسرا**﴾(٦) . .

وفى معرض النصر والتأييد ﴿**ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين**﴾(٧) . .

ويقول ﴿**ومن يتقى الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب**﴾(٨) . .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣٧

(٢) سورة التوبة آية ٧.

(٣) سورة يونس آية ٦٣ ـ ٦٤.

(٤) سورة آل عمران آية ١٥.

(٥) سورة الأعراف آية ١٥٦.

(٦) سورة الطلاق آية ٤.

(٧) سورة الأعراف آية ١٢٨.

(٨) سورة الطلاق آية ٢-٣.

وفى معرض التنوير والبصيره يقول ﴿**يا أيها الذين أمنوا ان تتقو الله يجعل لكم فرقانا**﴾(١) . .

فالفرقان ما يفرق به بين الشيئين الملتبسين أو أشيئاً مشتبهة . فثمرة التقوى هى البصيرة التى بها يفرق العبد بين الحق والباطل ويختار بها طريق النجاة. هذه هى التقوى أيها المسلم وهذه صفات المتقين وهذه ثمراتها فى الأفراد و الجماعات جعلنا الله واياكم من المتقين ولهذا ليس مستغرب أن يوليها القرآن عناية فائقة ويدعوا اليها كما جاء فى هذه الآية السابقة التى تدل على عمق الرحمة فى الاسلام وهى قوله تعالى ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**﴾(٢) . .

ولو أن العالم عرف التقوى وقام بواجبها لانطفأت ثورت الشر وساد السلام فى ربوع العالم جميعا . . والله أعلم»

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٩ .

(٢) سورة البقرة آية ١٩٧

(الدرس السابع والعشرون فى الصبر)

أيها المسلم اعلم أن الصبر من الفضائل الخلقية وهو النفحة الروحية التى يعتصم بها المسلم فتخفف من بأسه وتدخل الى قلبه السكينة والاطمئنان وتكون بلسما لجراحه التى يتألم منها فالصبر يتلقى به الضابر المكاره بالقبول ويراها من عند الله وعند التأمل نرى العناية الالهية تسوق الينا الشدائد لحكمة عالية و الجاهل هو الذى يحضر ويحزن ويكتئب، أما العاقل فيلتمس وجوه الخير فيما يبتليه الله به من الشدائد ولولا الصبر لانهارت نفس الانسان من البلايا التى تنزل عليه ولا أصبح عاجزا عن السير فى ركب الحياة وأصبح فى حالة يكفر فيها بالقيم الاخلاقية فضلا عن أنه يصبح عنصر شر لا نفع فيه ونستطيع أن نصف الصبر بحق أنه الفاصل بين الحياة الروحية والمادية ولهذا عنى القرآن بالصبر ومدحه ورفع منزلته وأثنى على المتحلين به ثناء لا مزيد عليه وذكره فى حوالى سبعين موضع ولم تذكر فضيلة أخرى بهذا المقدار وهذا يدل على عظيم أمره لانه أساس كثير من الفضائل بل هو أمها لانه يربى ملكات الخير فى النفس فما من فضيلة إلا وهى محتاجه إليه فالشجاعة هى من الصبر على مكاره الجهاد والعفاف هو من الصبر على الشهوات والحلم هوالصبر على المثيرات والكتمان هو الصبر على إذاعة الاسرار لهذا كله أحب الله الصابرين وأعلن ذلك فى القرآن أنهم ينالون مزيدا من الفضل والرحمة فى الدنيا والأخرة فقال سبحانه: **﴿ولنجزى الذين صبروا أجرهم بغير حساب﴾** (١)..

ويقول فى موضع آخر **﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً﴾**(٢)..

والصابرين زيادة على هذا مؤيدون بمعونة من الله قال تعالى: **﴿وأصبروا ان الله مع الصابرين﴾**(٣)..

---

(١) سورة الزمر آية ١٠. (٢) سورة الانسان آية ١٢. (٣) سورة الأنفال ٤٦

ويخولهم الله امامة الناس الى ما يحبه ويرضاه وهذا ما حكاه الله عن بنى اسرائيل فى قوله ﴿**وجعلنا منهم آئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بأياتنا يوقنون**﴾ (١) . .

ويخبر الله عز وجل أن الصبر من الخصال العظيمة التى يجب أن يتصف بها المؤمن ﴿**وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور**﴾(٢) . .

أى أن الصبر والتقوى من صواب التدبير الذى ينبغى أن يلتزمه كل واحد ومدح الله نبيه أيوب لاتصافه بالصبر بقوله تعالى : ﴿**إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب**﴾(٣) . .

والصبر الذى دعا إليه القرآن هو ملكه الثبات والاحتمال التى تهون على صاحبها ما يلاقيه من مصاعب كالفقر والمرض وفقد عزيز وما يلاقيه فى سبيل تأييد الحق وإزالة الباطل أو احتمال الأذى من الناس لذلك ، دعا القرآن إلى الصبر فى مواطن الجهاد فى سبيل الله فقال ﴿**قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين**﴾(٤) . .

ودعا إليه فى مواطن تحمل أذى الناس بقوله ﴿**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين**﴾(٥)

ودعا إليه فى مواطن المثابرة على العبادة بقوله ﴿**فأعبده واصطبر لعبادته**﴾(٦) . .

وقوله تعالى ﴿**وأمر أهلك بالصلاة وأصطبر عليها**﴾(٧) . .

ودعا إليه فى مواطن البلاء الذى يمتحن الله به عباده بقوله : **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم**﴾(٨) .

---

(١) سورة السجدة آية ٢٤ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٨٦ .

(٣) سورة ص آية ٤٤ .

(٤) سورة البقرة آية ٢٤٩ .

(٥) سورة النحل آية ١٢٦ .

(٦) سورة مريم آية ٦٥.

(٧) سورة طه آية ١٣٢ .

(٨) سورة محمد آية ٣١.

وعدد الله أنواع البلاء فى الآية التالية ﴿**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**﴾ (١)

فهناك يذكر الله بأن الصابرين يفوزون بثلاث خصال لا تتوفر لغيرهم وهي قوله تعالى : ﴿**أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**﴾ فصلوات الله عليهم أى يثنى عليهم ويزيدهم تشريفا وتكريما ورحمة ، هى ما يكون لهم عزاء فى المصائب التى تصبهم ويصبرون عليها وذلك من لطف الله وإحسانه فيكون لهم منه حسن العزاء والرضا والتسليم بقضائه﴿**وأولئك هم المهتدون**﴾ أى الى الحق والصواب فى ما ينبغى عمله فى أوقات الشدائد والمصائب. فلا يستحوذ عليهم الجزع ولا يذهب البلاء بالأمل من قلوبهم هذا هو الصبر الذى ذكره القرآن الذى فيه العزاء للقلوب المكلومة وفيه الشفاء للنفوس الحزينة والنجاح فى هذه الحياة أيها المسلم أعلم رحمك الله أن الصبر ثلاثة أقسام، صبر على طاعة الله وصبر على المصائب والبلايا والشدائد التى تلم بالمسلم فى هذه الحياة رضاء بقضاء الله واستسلام لأمر الله وثقة بالله وصبر عن معاصى الله خوفا من الله ورجاء لمثوبته الله وذلك هو الصبر المحمود المستحق صاحبه لما وعد الله به الصابرين من الأجر والمغفرة والتكرم فى الدار الأخرة يوم لاينفع مال ولا بنون وليكن ذلك عن رضاء بقدر الله واستسلام لأمره ويكون ذلك عند الصدمة الأولى كما قال ﷺ للمرأة التى وجدها تنوح على القبر ونهاها وقالت إليك عنى أو كلمة نحوها ولما أخبرت أنه رسول الله ﷺ أتت إليه تعتذر أنها لم تعرفه فحينئذ قال لها الصبر عند الصدمة الأولى، والا فهو سلو كسلو البهائم، والله أعلم».

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٥ ـ ١٥٧.

(الدرس الثامن والعشرين فى العفو)

أيها المسلم أعلم أن العفو من الصفات الحميدة التى يتحلى بها الانسان المسلم لانها لاتصدر إلا من نفس كبيرة راجحة العقل، صبرت على إعتداء الغير وأذاه واعتداء الغير علينا لايكون إلا من نفس مريضة حُجب صوابها فما أحرى بنا ونحن مسلمون أن نغفر لها لأننا كثيرا ما نزل ونرتكب الخطأ مع الغير ونكون بذلك مفتقرين إلى العفو، واذا كنا نحن لانعفو ولا نغفر لمن أساء إلينا فكيف نرجو أن يغفر لنا، وقد قيل الجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان لكن ونحن ينبغى لنا إذا أساء الينا الغير أن نعفو ونتجاوز عن إساءته وأعلى من ذلك أن نعامله بالاحسان إليه لأن مقابلة الاساءة بالاحسان تنزع االشرور فيرتدع غالبا صاحب الشر عن غيه وتنقلب بغضاؤه الى مودة ولهذا مدح الله العفو فى كثيرا من المواضع فى القرآن فى قوله تعالى ﴿**وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم**﴾(١)

ووصف المؤمن الصادق بقوله تعالى ﴿**ويدرون بالحسنة السيئة**﴾(٢). .

ووعد الله مقابلة الشرور بالاحسان لأن ذلك داعية الى نزع العداوة من صدورهم واحلال المودة محلها فى قوله تعالى ﴿**ولاتستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم**﴾ (٣)

ولما كانت بعض النفوس جبلت على الاعتداء فقد وضع الاسلام لها علاجا لمنعها من التمادى فى غيها وهو مقابلته بالمثل بدون إسراف أو ظلم ولكن بالرغم من

---

(١) سورة التغابن آية ١٤٠ .

(٢) سورة الرعد آية ٢٢ .

(٣) سورة فصلت آية ٣٤.

هذا لم يغفل من ترجيح العفو كما قال تعالى ﴿**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خيرا للصابرين**﴾ (١) . .

وقـال ﴿**وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لايحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فاؤلئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم، ولمن صبر وغفر ان ذلك من عزم الأمور**﴾ (٢) . .

أيها المسلم هذا هو مذهب الاسلام فى العفو وقد سئل العلامة الشيخ محمد الشالى عن العفو فى القرآن من قبل أحد الباحثين الاترى أن المسيحية أسمح من الاسلام لأنها تقول إن من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر، والاسلام يدعو الى القصاص أولا ثم العفو ثانيا فأجابه الأستاذ بقوله (أن ما دعا إليه الاسلام هو ما تدعـو إليه الفـطرة السليمة بل لا أغالى إذا قلت أن الاسلام أسمح من المسيحية فى هذا لانه إذا أعطى حق القصاص للمعتدى عليه فقد أراحه نفسيا وقد جعـل له سلطانا يؤيده الحق، ثم دعاه وهو صاحب السلطان فى القصاص إلى العفو وهو متمكن من القصاص فإذا عفا وهو قادر على أخذ حقه كان عفوه رحمة وعزة ومنه أما إذا دعوناه إلى العفو من أول الأمر قبل أن نجعل له حقا فى القصاص كما دعت إليه المسيحية فاستجاب وقل ما يستجيب لذلك إن فعل ذلك فعله وهو مبرم وسـاخط لأنه عفو الضعف لاعفو المقدره والعز كما دعاه الاسلام) وكذلك العفـو كما دعا إليه الاسلام قد يؤدى فى كثيرا من الأحيان إلى صداقة قوية بين المتخاصين لأنه المعتدى يؤلمه هذا العفو من القادر على القصاص فيعمل حينئذ على إرضائه ومحو أثار الاعتداء من نفسه، والله أعلم»

---

(١) سورة النحل آية ١٢٦ .

(٢) سورة الشورى آية ٤٠ ـ ٤٣

(الدرس التاسع والعشرون فى الصدق ومظاهره)

أيها المسلم ليس هناك صفة تكفل إستقرار المجتمع وتوجد الثقة بين الأفراد مثل الصدق لذلك أعتبره الاسلام أساسا من أسس الفضائل التى تبنى عليها المجتمعات وجعله عنوانا لرقى الأمم وما فقدت هذه الصفة إلا حل محلها عدم الثقة وفقدان التعاون فالصدق من ضروريات المجتمع وينبغى أن ينال حظا عظيما من العناية فى الأسرة والمدرسة لأنه يحصل منه الخير الكثير وبه ترد الحقوق وبه يحصل الناس على الثقة فيما بينهم لهذا دعا الله سبحانه وتعالى للتخلق به فقال مخاطبا المؤمنين: **يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)** (١)

وقال: ﴿**يأيها الذين آمنوا اتقو الله وقولو قولا سديدا**﴾(٢) . .

ويقول الرسول ﷺ فى الدعوة الى الصدق: عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة ومازال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا. واياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفحور والفجور يهدى الى النار ومازال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا. . (٣)

أخى المسلم الأمانة من أنواع الصدق والأمانة هى من أرفع الصفات فى الانسان وهى من أقوى الدعائم التى يقوم عليها أى مجتمع سليم ويحصل منها الخير لهذا نرى الاسلام يعتبرها من صفات المؤمنين قال تعالى: ﴿**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**﴾(٤)

---

(١) سورة التوبة آية ١١٩.

(٢) سورة الأحزاب آية ٧٠.

(٣) رواه مسلم.

(٤) سورة المؤمنون آية ٨.

أيضا صدق الوعد من أنواع الصدق الذى هو من الصفات الحميدة التى يتحلى بها الانسان المسلم وهى سبب جوهرى من أسباب النجاح فى هذه الحياة وهى اليوم تعتبر من أبرز صفات القوم المتمدنين الذين يحرصون عليها أشد الحرص والقرآن دعا إلى هذه الصفات فقال تعالى يمدح نبيه إسماعيل بقوله ﴿**واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا**﴾(١)..

فالصدق من ضروريات المجتمع وهو كما نرى لم يغفله القرآن بل دعا اليه كما دعا الى كل فضيلة ترقى المجموعة البشرية والله أعلم..

---

(١) سورة مريم آية ٥٤.

(الدرس الثلاثون فى الاصلاح بين الناس)

أيها المسلم ليس الخير كله فى الاسلام أن يكون المسلم مستقيما فى حياته متجنبا لاضرار الناس لايهمه الاصلاح نفسه فقط بل الخير فى الاسلام أن يسعى المرء أيضا إلى الاصلاح بين الناس فإن الاصلاح بين الناس من أهداف المسلم لأن العداوة بين شخصين ستتطور حتما الى العداوة بين أصدقاء كل من المتعادين وكثيرا ما تنقسم الأمة الى جماعات لاهم لها إلا النكاية والأضرار ببعضها وكثيراً ما يتطور الخصام إلى المشاجرة وربما إلى سفك الدم فالاصلاح بين الناس يؤدى إلى صفة من أرفع الصفات فى النفس الانسانية التى لاتصدر إلا من قلب نبيل أحب الخير لنفسه ولغيره وهل مثل الاصلاح بين الناس شىء يؤدى من الخير والنفع للمجتمع ويجعل الناس وحدة مترابطة ، لهذا أمر الله بالاصلاح بين المؤمنين الذين تجمعهم الأخوة الدينية بقوله تعالى: **﴿إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم﴾**(١)

ودعا الى الاصلاح بين الزوجين فقال **﴿وإن خفتم شقاق بينهما فأبعثوا حكما من اهله وحكما من أهلها أن يريد أصلاحا يوفق الله بينهما﴾** (٢) . .

وبين الله ثواب الاصلاح بين الناس بهذه الاية البليغة **﴿لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوق نؤتيه أجرا عظيما﴾**(٣) . .

والمعنى والله أعلم أن من التناجى بين الناس شىء لا خير فيه لما يحصل به كثيرا من الأثم كالغيبـة والنميمة أو مما يحاك المؤامرات ضد أفراد معينين يسبقونهم فى

---

(١) سورة الحجرات آية ٩ .

(٢) سورة النساء آية ٣٥ .

(٣) سورة النساء آية ١١٤ .

السلطة والنفوذ بقصد الاستعلاء عليهم ، ثم حدد القرآن السبيل الذى يجب أن يسلكه الناس فى تناجيهم وهو تأمين حاجات الطبقة الفقيرة والأمر بالخير والاحسان والاصلاح بين الناس ومن يفعل هذه الأعمال توجها الى الله وطلبا لمرضاته فإن الله سيؤتيه الثواب العظيم والأجر الجزيل هذا النص القرآنى يحمل أروع معانى السمو الخلقى الذى يفتقر اليه المجتمع الانسانى للحصول على الأستقرار الذى ينشده الأنسان المسلم ولو أردنا أن نستقصى ما ينجم عن الاصلاح بين الناس من الخير والأستقرار والطمأنينة بين الشعوب والأمم لطال بنا المقام ولنكتفى بما أوردناه والله الموفق للصواب ، ، ،

(الدرس الواحد والثلاثون فى التعاون)

أيها المسلم إن من أبرز مميزات الحياة الروحية، التعاون على الخير للنهوض بالحياة الاجتماعية إلى المستوى الرفيع الذى يؤدى إلى رفاهية المجتمع والتخفيف من آلام الغير وقد أدركت المدنية الحديثة ميزة التعاون فانتشرت فيها الجمعيات التعاونية حتى لاتكاد تخلو منها مدينة وهى تعطينا الدليل القاطع على فوائد التعاون وضرورته لاسعاد الفرد والمجتمع ، ولقد كان لمهد التعاون حظه من نصوص الشرع كما قال تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الأثم والعدوان**﴾(١)

وأمر القرآن بالتعاون على البر والتقوى والبر فى اللغة يأتى بمعنى العطية والطاعة والصلاح والصدق فالبر كما يظهر لنا كلمة جامعة لكثير من الفضائل والتقوى هى مخافة الله والعمل بطاعته فالتعاون على البر والتقوى يتناول الموازنة والمؤازره فى كل عمل ينتج عنه الخير سواء ان كان من وسائل السعادة فى الأخرة أو ما ينهض بحال الأمة فى الحياة الدنيا كبناء المدارس والمستشفيات والملاجىء وغير ذلك من أعمال الخير ثم الشطر الثانى من الآية وهو النهى عن الآثم والعدوان فالأثم فى اللغة هو عمل ما لايحل عمله وهذا يشمل الرذائل والعدوان وهو الظلم الصراح ويدخل فى الأثم والعدوان كل عمل يعود على النفس أو المجتمع بالفساد فالمتمعن فى الآية القرآنية يرى أنها لم تكتفى بالدعوة الى التعاون وتخصيصه بالبر والتقوى بل إنتقلت إلى التحذير من التعاون على معصية الله والأضرار بالغير والبعد عن معصية الله وعن التعاون على العدوان ويكون غالبا من نتائج التعاون الذى لايشوبه رياء ولا سمعة بل هو تعاون خالص لوجه الله وقياما بحق الأخوة الاسلامية والله الموفق والهادى الى سواء السبيل . .

(١) سورة المائدة آية ٢

(الدرس الثانى والثلاثين فى الصلاة)

أيها المسلم الصلاة هى في اللغة الدعاء بخير وهى دعاء يتقرب به العبد الى الله عز وجل استغفارا لذنب أو شكرا على نعمة أو دفعا لقيم أو قياما بغرض عبادة كما أنها إظهار لحاجة أو إفتقارا الى المعبود بالقول والعمل وقد فرضها الله على عباده ليذكرهم بأوامره وليستعينوا بها على تخفيض ما يلقونه من أنواع المشقة والبلاء فى الحياة الدنيا كما أن من معانيها الثناء على الله بما يستحقه من الحمد والتمجيد . .

حكمــة الصــلاة

ان من حكمة الصلاة أن المجتمع الأنسانى بحاجة إلى قوة روحية ترفع من نفوس الأفراد فى الحاجات المادية والمصالح الانسانية بالقوى الروحية التى لابد منها لاصلاح المجتمع أما من الناحية النفسية فالانسان إذا لم تتصل روحه بمبدعها ظهـرت فى مظاهر الوحشة والاكتئاب وعدم القناعة بشىء وربما ظن أن وحشته واكتئابه حصلا من عدم أخذه حظا من الملاهى والملهيات فألقى نفسه بين أحضانها وجره ذلك الى تعاطى الخمر فيقضى حياته وهو شديد الأقبال على الدنيا عظيم الحسرة فيما لم يبلغ اليه أجتهاده فيها دائم الحيرة كثير الهلع بينما الصلاة تتيح للمرء أن يسأل ربه وبارئه كل ما يريد حتى ينفس عن مشاعره وهى توجد فى الانسان عقيدة الطاعة لأن أوامر الله ولو كانت تتعارض مع رغباته الشخصية كانت تبث فيه عدم اليأس الى قلبه ويملك من القوى النفسية ما يواجه أعظم المشاكل دقة وخطرا من هنا يتبين لنا أن اتصال الروح الانسانية بخالقها ولو لحظات فى اليوم من الضروريات للانسان لهذا شرعت الصلاة فى الاسلام . .

وجـوب الصلاة

أيهـا المسلم لقد أمر القرآن بالصلاة فى أيات كثيرة منها قوله تعالى ﴿**فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا**﴾(١) . .

ويقـول سبحـانه فى وصف أصحاب النار عندما يسألون عن سبب عذابهم ﴿**ماسلككم فى سقر ، قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين**﴾(٢)

والقرآن لم يفصل كيفية الصلاة بل فصلها النبى ﷺ فقال لاصحابه صلوا كما رأيتمونى أصلى وها نحن نستعرض أفعال الصلاة مع ما تشتمل عليه من معنى روحية وقبل أن نفصلها نذكر مقدماتها ونبدأ بالوضوء ونقول أن من حكم الوضوء وقد أشار القرآن إلى كيفية الوضوء يقول ﴿**يا أيها الذين أمنوا إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجـوهكم وأيـديكم الى المـرافق وأمسحـوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين**﴾ (٣) . .

استعدادا للصلاة لأن جوهر الصلاة هو أن يتصور الشخص المصلى أنه أمام الخالق العظيم ذى الجلال والعزة والكبرياء ويخشع أمام خالق هذا الكون ويتذلل بين يديه ويتهيأ ذهنه لذلك ويتخلص من شواغل الحياة الكثيرة لذلك فرض عليه الوضوء قبل القيام بهذه العبادة ليكون مستعدا لأدائها على الوجه الأكمل وليكون مستحضرا قلبه وجميع قواه الظاهرة والباطنه للوقوف فى هذه العبادة أمام الله عز وجل وذلك لأن الانسان إذا قام إلى العبادة وهو مشغول البال بتفكير فى غيرها فإنه لابد أن يدخل عليه النقص والسهو فيها لأنه قام فيها وهو مشغول بتفكير فى غيرها وهنـا لابد للانسان المسلم إذا حضر وقت العباده أن يستجمع جميع قواه ويتهيأ لأدائها كاملة مثل ما أمر الله وأن يترك التفكير فى غيرها وقد ورد عن على رضى الله عنه أنه إذا حضرت الصلاة يتغير لونه تارة يحمر وتارة يصفر وقد قيل له فى ذلك

---

(١) سورة النساء آية ١٠٣ .

(٢) سورة المدثر آية ٤٢ ـ ٤٤ .

(٣) سورة المائدة آية ٦ .

فقال أتتنى الأمانة التى تبرأت منها السماوات والأرض والجبال وأنا لاأدرى أأحسن فيها أم أسيء وحيث أن الذى يفكر فى التجارة والصناعة ثم يقال له قم للعبادة وحينئذا يجد فى نفسه صعوبة فى تأدية تلك العبادة وهنا كان حكمة الوضوء لأنه يساعد على ترك التفكير الأول ويعطى الوقت الكافي ليبدأ فى تفكير آخر عميق فى شأن العبادة التى فرض الوضوء من أجلها وبالله التوفيق . . .

شــروط الصلاة

أعلم أيها المسلم أنه يشترط لصحة الصلاة أولا طهارة البدن والثوب والمكان من النحاسة والأقذار وفى ذلك تعويد للمسلم على اجتنابها والتباعد عنها وكذلك يشترط لصحة الصلاة ستر العورة وهى بالنسبة للذكر ما بين الصره والركبة وللأنثى جميع بدنها ما عدى وجهها وكفيها كما أنه يشترط استقبال الكعبة لتتحد وجهة الصلاة عند المسلمين إذ لوفوض الأمر الى المصلى لغلب على نفسه الاضطراب والحيرة فلا يدرى أى الجهات أقرب إلى الله لهذا كان من حكمة الله أن عين له جهة الكعبة التى هى أول بناء قام فى الأرض لعبادة الله، وليس المقصود من إستقبال الكعبة عبادة عينها بل المقصود بذلك هو الله وحده لأن الشريعة تحكم بالكفر على من يقصد بتوجهه غير الله وقبل أن يشرع المسلم فى الصلاة يقول الصيغة المعروفة فى الآذان والاقامة والفاظ الآذان هى ((الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة، حى على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله . .

عرض لافعال الصلاة

نقول وبالله التوفيق عندما ينتهى المسلم من الاقامة يستحضر النيه فى قلبه فإذا رفع المصلى يديه حذو منكبيه قائلا (الله أكبر) يشعر نفسه بأن الله أكبر من كل شيء

وقد أراد أن يشرع فى مناجاته مع الله فعليه الا يشغل قلبه بشىء سواه ثم يرسل يداه ويضع اليمنى على اليسرى وهذه التهيأ تذكر المصلى بوجوب إقامة قلبه مع الله عز وجل ثم يتلو المصلى بعد هذا دعاء من أدعية الاستفتاح وهذا نصه (وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى وحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين) وذلك ليحرك فى نفسه الاحساس بعظمة الله ويوفقها للاخلاص فى عملها ثم يقرأ المصلى بعد دعاء الاستفتاح سورة الفاتحة وهى فرض فى كل ركعة من ركعات الصلاة لما تحمله من المعانى العظيمة والسمو الروحى ولما لها من أثر فعال فى إصلاح الفرد والجماعة فإن الفاتحة هى روح الصلاة لذلك يحسن بنا أن نقف عندها قليلا ونحللها . .

المعانى السامية فى سورة الفاتحة

الحمد لله رب العالمين، أيها المسلم أن جملة الحمد لله مفيدة لقصر الحمد عليه سبحانه وتعالى لأن كل ما يستحق أن يقابل بالحمد إنما هو صادر من الله مصدر كل نعمة فى الكون وجملة رب العالمين تنص على أن الجنس البشرى أسرة وأن الله تعالى هو ربها وهذه الفكرة الانسانية التى يقررها القرآن هى الدرع الواقى من طغيان الوطنية والجنسية والألوان وتربية الله للناس نوعان تربية خلقية وتكون بتنمية أجسامهم وتنمية قواهم العقلية وتربية دينية تهذيبيه وتكون بما يوجه إلى أفرادهم ليبلغوا الناس ما يصلح به حالهم وتصفوا بهم نفوسهم، الرحمن الرحيم - صفتان من أخص صفاته تعالى فالعلاقة بين الرب والعباد علاقة رحمة ورعاية أراد الله أن يذكر عباده برحمته وإحسانه وأن ربوبيته ربوبية رحمة وإحسان ليقبلوا على اكتساب مرضاته مطمئنة قلوبهم فالاسلام يغرس فى نفوس المصلين فى كل صلاة بأن الله هو الرحمن الرحيم، ولما بين الله صفة الرحمة قال لاتفتروا بذلك فإنى مالك يوم الدين أى إلي التصرف فى أمور يوم القيامة تصرف المالك فيما يملك وقد وعد الله المؤمنين العاملين بشريعته بالاستخلاف فى الأرض والنعيم فى الأخرة ﴿**إياك نعبد وإياك**

نستعين﴾ أى نعبدك وحدك دون من سواك ونطلب معونتك وحدك على عبادتك وعلى جميع شؤوننا بالعمل بما أعطيتنا من الأسباب والتسليم اليك عند العجز عنها وذلك عهدا يقطعه المصلى على نفسه كل يوم خمس مرات فى كل صلاة وهو يقول إياك نعبد وإياك نستعين ومعنى ذلك والله أعلم أن المصلى فى مناجاته لربه هذه يقول لا أعبد أحدا سواك ولا أستعين بأحد سواك وبعد ذلك إنه لايجوز للمسلم أن يناقض قوله هذا بفعله كأن يصرف شيئا من عبادته لغير الله أو يستعين بغير الله فيما لايقدر عليه إلا الله كما أنه عند ذكر هاتين الصفتين يتم القضاء على الشرك والوثنية التى كانت فاشية فى جميع الأمم وهي إتخاذ أولياء يعتقدون فيهم السلطة الغيبية التى لايعلمها الا الله ويدعونهم من دون الله ويستعينون بهم من دون الله على قضاء الحوائج فمن يستعين بقبر ناسك أو ضريح عابد لقضاء حاجته أو تيسير أمر قد تعسر عليه أو شفاء مريض فقد ضل سواء السبيل وأعرض عما شرعه الله وارتكب ضربا من ضروب الوثنية الضالة المضلة فإذا عرف الانسان أن الله وحده هو المعبود وهو المستعان وهو المالك المتصرف القادر على كل شىء هو العالم بكل شىء ليس كمثله شىء فإنه حينئذ يتخلص ضميره من استغلال الشر والاساطير والخرافات والأوهام .

﴿أهدنا الصراط المستقيم﴾ أى دلنا وأرشدنا وأوصلنا بتوفيقك ، ومعونتك الى طريق الحق فى العلم والعمل الذى لاعوج فيه فالمسلم عندما يحدق به البلاء أو يصاب بأزمات نفسانية جادة أو سد باب الفرج فى وجهه حينئذا تراه يهرع الى الصلاة ويدعو ربه فيها، إهدنا الصراط المستقيم) فتطمئن نفسه وتقوى على مواجهة الأهوال **﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾** أى دلنا وأرشدنا الى الطريق الذي سلكه خيار عبادك المفلحين من النبيين والصديقين والمثل الصالحه يحتاج إليها الانسان للاقتداء فهى تضاعف فى همته وتوجهه نحو الخير**﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾** فالمغضوب عليهم والضالون هم الذين غلوا فى معتقداتهم وضلوا سواء السبيل .

من فوائد سورة الفاتحة

هذه الفاتحة التى يرددها المسلمون كل يوم وليلة فى كل ركعة من ركعات الصلاة وعددها سبعة عشر ركعة ما عدا صلاة النافلة وهى الكلام الربانى الذى يتلوه المسلمون آناء الليل وأطراف النهار يناجون به ربهم هذا الكلام أسمى وأنبل من سائر أناشيد الأمم التى تحمل فى طياتها معنى التعصب والاستعلاء والدعوة الى الإقليمية الضيقة بينما الاسلام ينشر الأخوة والمحبة للانسانية جمعاء والدعوة إلى اصلاحها هذه هى الفاتحة وما تشتمل عليه من تهذيب الفرد والمجتمع وإصلاحه وهى كما رأينا أفضل ما يمكن تخليده من نظام يدعو إلى اصلاح الجماعة الانسانية عن طريق العبادة والعقيدة الخالصة لوجه الله . . والله أعلم .

بعد أن يقرأ المصلى الفاتحة ويتدبر معانيها يقول بعد الانتهاء منها (أمين) أى استجب لى يارب حيث أن حالة المصلى مع ربه كحالة المريض مع طبيبه فإن المريض يهرع الى الطبيب آملا فى الشفاء فيأمره طبيبه بأخذ الدواء المناسب فكذلك المصلى فى طلبه الهداية من ربه يطلب الدواء الشافى من أمراض الأعمال والاعتقادات الباطلة فكأن الله يقول له خذ دواءك من كلامى وهو القرآن وأتل ما تيسر منه فهو الدواء الشافى لك من جميع الأمراض لذلك يقرأ المصلى بعد الفاتحة عدة آيات من القرآن وبعدها ينظر المصلى الى عجزه وضعفه واحتياجه الى ربه فى هدايته إلى ذلك الدواء للحصول على الشفاء ويتصور إنه لا قدرة له على ذلك الدواء إلا بالله فيخر المصلى حينئذ راكعا له متمثلا صورة عجزه قائلا (الله أكبر) واضعا راحتيه على ركبتيه ثم يقول سبحان ربى العظيم ثلاث مرات والزيادة على ذلك مستحبة إن لم يكن إمام وكان يشق على من خلفه التطويل ثم يرفع المصلى من الركوع إلى القيام لأداء الحمد والشكر لمولاه الذى منَ عليه بالهداية قائلا (ربنا ولك الحمد) بعد قول سمع الله لمن حمده ثم يرى أن نعم الله عليه لاتحصى وهو عاجز عن أداء شكرها فيخر ساجدا معظماً مولاه قائلا (الله أكبر) ويضع جبهته على الأرض فى ذلك السجود فيرى نفسه قد بلغ غاية الخضوع وأنه ما فعل ذلك إلا تعظيما لربه الاعلى فينطلق لسانه قائلا (سبحان ربى الأعلى) ثلاث مرات وبعد

السجود يرفع رأسه مكبرا وسائلا حاجته بقوله (رب اغفر لى وارحمنى) ثم يعود إلى السجود الثانى وهو يقول (الله أكبر) ويفعل ما فعل فى الركعة الأولى ماعدى قراءة دعاء الاستفتاح ومما يجب لفت النظر إليه أن الصلاة شرع فيها (الله اكبر) عند إبتدائها وعند الركوع والسجود والقيام من السجود أن فى تكرير هذه الكلمات عدة مرات تعويدا للمسلم على العزة والكرامة وأن لايذل لمخلوق لأن الله أكبر من كل من يستكبر ويستعظم من الخلق فكلما حدثته نفسه أن يذل لانسان ذكر فى صلاته أن الله أكبر ثم عندما يأتى بالركعة الثانية يجلس عقب السجود الأخير ويقول (التحيات المباركات والصلوات الطيبات لله االسلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله) والحكمة فيها أن المصلى عندما يخرج من الصلاة فهو بمنزلة من يريد الانصراف من حضرة الملك فيثنى عليه أبلغ الثناء ويقول له التحيات لله أى كل تحية وتعظيم لايستحقها فى الحقية إلا الله وهذه الصلوات التى نقيمها ينبغى أن لاتكون إلا لرب العالمين، ثم أمرنا الله بالسلام على النبى تنويها بذكره وإظهارا لفضله وإقرارا برسالته وأداء البعض حقه كما أن فى السلام على الرسول معنى الميثاق والعهد معه على التمسك بالاسلام وبعدها أشار إلى معنى سامى من معنى الاسلام وهو أنه يدعو الى السلم ويأمر أهله أن يحيوا به فى الصلوات الخمس وأنه شعارهم الذى تنطق به شفاههم كل يوم ملايين المرات ثم يأتى بالتشهد وهو تجديد لعقد الايمان أمام الله قبل الإنصراف من حضرة الله وبعد هذا يصلى على النبى ثم يختار من الدعاء ما يحتاج إليه من خير الدنيا والأخرة ثم ينصرف من الصلاة مسلما على من معه من الملائكة والمؤمنين وذلك بأن يلتفت إلى اليمين ويقول (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته). ويلتفت إلى الشمال ويقول مثل ذلك هذه أفعال الصلاة فى الاسلام فهل ترى أيها المسلم أن من صلى هذه الصلاة يبقى عليه شىء من دنس الطباع أو ظلمات النفس أو درن الذنوب، ومفارقات ما يتلوث به أثناء الاشتغال بأمورها لذلك أمر الله بتكرار الصلاة خمس مرات فى اليوم والليلة فهى بمنزلة الدواء الذى يتكرر أخذه كلما خف من صولة المرض.

(تنمية ملكه حصر الذهن)

أيها المسلم إن الانسان عندما يهرع الى الصلاة ويتوجه الى الله بالعبادة تتنازعه أفكار متعدده فيحاول أن يطردها ليحل محلها استحضار عظمة الله ولذة مناجاته وأن هذا العمل الذى يقوم به المصلى لطرد الأفكار التى تتنازعه يحتاج الى عزم وصبر ورهبة من الله وهو ما يسمى بالخشوع والقرآن رتب على الخشوع فى الصلاة الفلاح فى الدنيا والآخرة قال الله تعالى ﴿**قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون**﴾ المؤمنون الخاشعون هم الخاضعون لله والخائفون منه وفسر الرازى الخشوع بأنه وسيلة لتنمية ملكه حصر الذهن التى لها أكبر الأثر فى نجاح الانسان فى هذه الحياة ولهذا يحسن بنا أن نعرفها ونرى مبلغ أهميتها فى نجاح الفرد والجماعة وفوائد الصلاة لاتحصى . والله أعلم . .

(الدرس الثالث والثلاثون فى الصوم فى الاسلام)

أيها المسلم الصيام فى اللغة الامساك والكف عن الشىء واصطلاح علماء الشرع، الامساك عن الأكل والشرب والاتصال الجنسى من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ابتغاء مرضاة الله والأصل فى فريضته ما جاء فى القرآن الكريم ﴿**يا أيها الذين أمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فديه طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**﴾ (١)..

فرض على المسلمين الصيام بهذه الآيات وأبان أحكامها واليك شرح هذه الآيات يقول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين أمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم. بين الله للمسلمين أن تشريع الصوم ليس جديد فى الشرائع السماوية وإنما هو تشريع قديم شرع للامم السابقة أيضا ولاشك أن هذا ما تستريح له النفوس وييسر القبول والطاعة وعدم الشعور بالحرج لأنهم ليسوا منفردين بما يطالبون به..**

روح الصيام فى الاسلام

وبعد هذا عقب الله بالغاية من الصيام بقوله لعلكم تتقون) أى تتخذون من الصيام وقاية تحول بينكم وبين الميول المرذولة والمنكرات والصوم يقى الشخص فى

١ ـ سورة البقرة آية ١٨٢ ـ ١٨٥

مفرده والمجتمع فى مجموعته فهو يقى الشخص فى مقرده أن يكون حيوانا يعمل بشريعة الغاب أو يقى المجتمع بتهيئة الفرد الصائم العامل على خيره فيكون إنسان لا حيوانا ضارا مع إنسان ولهذا يقول النبى ﷺ إنما الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائم فلا يرقث ولا يجهل وأن إمرى قاتله أو شاتمه فليقل إنى صائم) والجنة هى الـوقـاية التى يتفى بها الانسـان والمراد أن يعتقد الصائم أنه صائم ليتقى شر حيوانيته وإذا اتقى الانسان شر حيوانيته فقد كفى وإذا قال إنى صائم يتذكر أنه فى انسـانيتـه وليس فى حيوانيته وإذا التقى الانسان شرور نفسه وإتقى المجتمع شروره فقد بلغ رضى الله وصار فى مصاف المتقين. .

وهـذا ما يفهم من قوله تعالى (لعلكم تتقون ومعنى (لعل) الاعداد والتهيئة وإعداد الصيام فى نفوس الصائمين لتقوى الله يظهر من وحوه كثيرة أعظمها شأنا أنه أمر موكول الى نفس الصائم لارقيب عليه إلا الله فإذا ترك الصائم شهواته التى تعرض له أثناء الصوم امتثال لأمر الله تعالى وراض نفسه على الصبر كلما أغرتها الطيبات والشهوات شعورا منه بأن الله يراقبه وأنه مطلع على سره وجهره ويتكرر ذلك منه أيام صيامه فلا جرم أنه يحصل من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل ملكـة مراقبـة الله تعالى وخشيته والحياء منه أن يراه حيث نهاه والقدرة على ترك الملذات يحمله أن يتخلى عنها كما أن مراقبة الله تؤهله لكل أعمال الخير وتبعده عن الشر فلا يخدع ولا يغش ولايظلم ولا يهضم حقا ولايسعى فى الفساد بين الناس أما مجرد الامساك عن الطعام والشراب مع عدم مراقبة الله تعالى مما يسهل عليه إرتكاب الاثام فليس هو الصيام الذى فرضه الله على المؤمنين ولهذا يقول الرسول ﷺ من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه إذا فروح الصيام فى الاسلام مراقبة الله فيه وكونه لوحه الله ويؤيد ذلك ما ورد عن الرسول ﷺ من قوله من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) كذلك جعل الله فى النفوس الصائمين استعدادا لتقوى الله من جهة أن الصوم يخفف الشهوة التى هى أم المعاصى ولهذا يقول الرسول ﷺ (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه

بالصوم فإنه له وجاء أوكما قال والله أعلم . .

بعض حكم الصوم وفوائده

أعلم أيها المسلم أن للصوم حكم كثيرة وفوائد جمه من الناحية الاجتماعية ومن الناحية الفردية منها العطف على المسكين لأن الصائم عندما يجوع يتذكر من هذا حاله فى عموم الاوقات فيحمله هذا التذكر على رحمة المسكين لأن الرحمة فى نفس شاعر الم الجوع والصيام طريقة عملية لتربية الرحمة فى النفس ومتى تحققت رحمة الغنى للفقير الجائع أصبحت للكلمة الانسانية الداخلية سلطانها النافذ ومن حكم الصوم المساواه بين الأغنياء والفقراء فهو نظام عملى من أقوى وأبدع الأنظمة فهذا الصوم فقرا إجبارى يفرضه الاسلام فرضا ليتساوى الجميع فى بواطنهم فقرا إجباريا يراد به إشعار النفس الانسانية بطريقة عملية أن الاسلام الصحيح حين يتساوى الناس فى الشعور والاحساس لا حين يتنازعون بالرغبات المتعدده ومن حكم الصوم إضعاف سلطان العادة فقد بلغ ببعض الأفراد سلطان العادات الى حد الاستعباد فلو تأخر عنهم الطعام عن موعده فأصابهم ألم الجوع لساءت أخلاقهم وقد يكون سلطان المكيفات من القهوة والشاى والتدخين أشد من سلطان الطعام على أهله فهؤلاء لايعتبرون مستعدين لعاداتهم فإذا أضطروا فى حين من الزمن إلى تغير نظام حياتهم كما يحدث فى أيام الحرب لم يستطيعوا هذا التغير والصمود أمام تبعات الحرب التى تفرضها عليهم ومن حكم الصوم أيضا تقوية الارادة فقد جعل أساسها الصوم لأنه هو الوسيلة الفعالة لتحقيق سلطان الروح على الجسد فيعيش الانسان مالكا زمام نفسه لاأسير ميوله المادية هذا بعض حكم الصوم اخترناها من كثير وهى بلا ريب علاج لكثير من الأمراض التى يتكون منها لعالمنا الحاضر وبالله التوفيق . .

تلطيف الاسلام من شدة الصوم

أيها المسلم أن من الناس من يتفق له أن يكون مريضا فى شهر رمضان أو يكون مسافرا وعادة السفر يكون مرهقا للجسم فاقتضت حكمة الله أن يخفف وطأة الصوم على هؤلاء فقال تعالى ﴿**فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر**﴾ أى كان مريضا أو مسافرا فله أن يفطر أيام سفره ويصوم بدلها فى غير رمضان فى حالة صحته وإقامته ثم قال تعالى ﴿**وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين**﴾ والطاقة نهاية درجة الاستطاعة والقدره على الشىء فلا تقول العرب أطاق الشىء إلا إذا قدر عليه فى نهاية الضعف بحيث يتحمل مشقة كبيرة فإن المراد بالذين يطيقونه هنا الشيوخ الفانون والضعفاء والمراضع والحوامل والمرضى الذين لايرجى شفاؤهم فهؤلاء لهم أن يفطروا ويطعموا بدلا عن كل يوم مسكينا بقدر ما يتبع الرجل المعتدل ولا قضاء عليهم ثم قال تعالى ﴿**فمن تطوع**﴾ بأن زاد على القدر المذكور فى الفدية أو أطعم عن اليوم الواحد أكثر من مسكين أو جمع بين الصوم والفدية ﴿**فهو خير له**﴾ لأن فائدته وثوابه له ثم عقب على ذلك بقوله ﴿**وإن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾ أى تعلمون ما فى الصوم من فضيلة وخير ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدا للناس وبينات من الهدى والفرقان**﴾ هذا الشطر من الآية تتمه لبيان تلك الأيام المعدودات التى كتبت على المسلمين وهى الايام لشهر رمضان والحكمة فى تخصيص هذا الشهر بهذه العباده هى أنه الشهر الذى أنزل فيه القرآن وأفيضت على البشرية فيه هداية الله والمراد بأنزال القرآن فيه أى ابتداء نزوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه) والمراد بالشهر هنا الهلال فقد كانت العرب تعبر عن الهلال بالشهر فعلى كل من رآه أو ثبتت عنده رؤيته من غيره أن يصوم وثبوت شهر رمضان بأحد أمرين الأول ثبوت رؤيته الهلال فعليا إذا كانت السماء صافية . الثانى إذا كانت السماء غائمة ويستحيل معها رؤية الهلال فيجب اكمال شهر شعبان ثلاثين يوما ثم يبدأ الصيام بعد ذلك لقول الرسول ﷺ (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين أما سكان بلاد الشمال الذين يطول ليلهم ونهارهم وقد يصل فى بعض الجهات القطبية الى شهور

فهؤلاء يقدّرون أوقات صيامهم على البلاد المعتدلة التى وقع فيها التشريع كمكة والمدينة وقيل على أقرب بلاد معتدلة اليهم والله أعلم . .

(الدرس الرابع والثلاثون فى الحج فى الاسلام)

أعلم أيها المسلم أن الحج فى اللغة القصد الى معظم وفى الشرع الاسلامى قصد البيت الحرام بمكة للعبادة. والحج من الشئون الدينية التى كانت تعرف من لدن أقدم العصور عند جميع الأمم وكانت العرب قبل الاسلام كسائر الأمم يحجون الى البيت الحرام الذى بناه إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام فى مكة فلما جاء الاسلام أقر الحج ولكنه لم يدعه على ما كان عليه فى عهد الجاهلية فإن بعض العرب كانوا يطوفون بالبيت الحرام عراة الاجساد مشبكين بين أصابعهم ويصفرون ويصفقون وقد سجل الله عليهم هذه الحالة فقال مستنكرا فعلهم ذلك ﴿**وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية**﴾(١). .

وعند ما قوى الاسلام طهر الكعبة من جميع مظاهر الشرك والجهل والوثنية. .

(قصة بناء الكعبة)

الكعبة هى الموطن الأساسى لأداء فريضة الحج لذا يريد ربنا أن نلم بيقصة بنائها، أن بناء الكعبة يرجع الى عصر ابراهيم الخليل عليه السلام فقد فشت عبادة الأصنام فى ذلك الزمان وهجر الناس عبادة الله فهاجرا إبراهيم من بلاد الشام موطن آبائه واجداده ومعه زوجته هاجر وولده إسماعيل واتجه جنوبا حتى حط رحله فى بادية الحجاز بعيدا عن الناس ليكون أسرة تعبد الله وحده وعندما شب إسماعيل وبلغ أشده أمر الله نبيه وخليله إبراهيم أن يقيم مصلى لتجتمع حوله الناس لعبادة الله وذكره وشكره على ما أنعم به عليهم وقد ذكر الله ذلك الحدث بقوله تعالى ﴿**وإذ**

(١) سورة الانفال آية ٣٥.

(٢) المكاء = الصغير ـ التصديه = التصفيف.

يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾(١). .

فلما أتم إبراهيم البناء مع ابنه إسماعيل أمرهما الله أن يحافظا عليه ويبعد عنه كل رجس سواء اكان ماديا كالاقذار أم معنويا كالشرك بالله فقال تعالى **﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهر بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾** (٢). .

فالكعبة هى أول بيت وضع للناس لعبادة الله وحده كما قال تعالى **﴿إن أول بيت وضع للناس للذى ببكه مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا﴾** (٣)

مات إبراهيم وتبعه إسماعيل عليهما السلام وطال الزمن فادخل الناس فى أمور الحج أشياء منكرة من الشرك وعبادة الاصنام لذلك بعث الله محمدا ﷺ للقضاء على الشرك وعبادة الأصنام والرجوع إلى توحيد الله كما دعا إليه إبراهيم عليه السلام قال تعالى مخاطبا أمة محمد ﷺ **﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾** (٤)

روح الحج فى الاسلام

أيها المسلم إعلم أن الحج فى الاسلام يختلف كل الاختلاف عن الحج فى سائر الأديان إذ أن الحج عندها عبارة عن التبرك بقبور القديسين وما تركوا من آثار وهذا ما كرهه الاسلام ونفر منه أتباعه ومعتنقيه وكان أفضل الحج عندهم أى الأمم السابقة هو ما حمله الانسان نفسه فى سبيله من المشاق أما الاسلام فإنه كره أن يرهق فيه أحد نفسه ولو تطوعا وطلبا لزيادة الأحر فقد روى أن النبى رأى رجل ماشيا يتهاد بين ولديه يريد الحج فسأل عن شأنه فقيل يارسول الله إنه نذر أن يزور البيت ماشيا فقال كلا إن الله غنى عن تعذيب هذا نفسه أحملوه أو كما قال فالاسلام

(١) سورة البقرة آية ١٢٧.

(٢) سورة البقرة آية ١٢٥.

(٣) سورة آل عمران آية ٩٦ ـ ٩٧.

(٤) سورة الحج ٧٧ ـ ٧٨

يعتبر الحج وسيلة لتحقيق الفوائد الروحية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية وقد نطقت بذلك هذه الآية الكريمة **﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾** (١) . .

تأمل أيها المسلم فى قوله تعالى : ليشهدوا منافع لهم) وقد فسر العلماء المنافع بأنها دينية ودنيوية معا والدين والدنيا فى نظر القرآن مترابطة ترابط الروح والجسد فإن الدين يمد الروح بالايمان الصحيح والأداب والدنيا تمده بأسباب البقاء ودواعى الارتقاء فلو أردنا أن نستقصى ما يمكن أن يثمره الحج للمسلمين كافة من وجوه المنافع الأدبيه والمادية لضاق بنا المحال فالحج مؤتمر عام لتوحيد غايات المسلمين فى توجيههم الى مصادر الحياة الصحية بما يقتبسه بعض الشعوب من البعض الأخر ويتبع هذا أيضا ناحية لاتقل أهمية عن الأولى تلك هى الناحية الاقتصادية فإن لكل شعب من الشعوب الاسلامية صناعات لبلادهم ومنتوجات لاتوجد عند غيرهم وبواسطة هذا المؤتمر العام يمكن إبرام إتفاقيات على تبادلها فيما بينهم فى مجتمع عام يلى الحج يسهل عليهم تدارس الوسائل المختلفة لتسهيل أمر ذلك التبادل الثقافى والاقتصادى وجعله أمرا واقعيا بتذليل ما عسى أن يقوم أمامه من العقبات .

من يجب عليه الحج

الحج فرض على المسلم البالغ العاقل الصحيح البدن الذى يملك زاد السفر وأجره الانتقال كما أنه يملك من المال مايكفي لنفقته ونفقة عياله مدة سفره إلى رجوعه وعلى أن يكون ذلك المال الذى يملكه خالصا من الدين والحقوق خاليا من الربا والمحظورات مدفوعا عنه فريضة الزكاة وأن يكون فوق ذلك كله الطريق مؤمن إلى مكة وأفعال الحج هذه هى : الاحرام وطواف الزيارة والسعى بين الصفا والمروه

(١) سورة الحج آية ٢٧ ـ ٢٨

والوقوف بعرفه وحلق الرأس أو التقصير وترتيب هذه الأفعال وإليك أيها القارىء كل فعل من هذه الأفعال وحكمته

١ ـ حكمة الاحرام كانت العرب تضرب الحمى لمراعيها أى تجعل لها حدودا لاتتعداها القبائل الأخرى وكان العزيز منهم من يتخذ له متسعا من الأرض يجعله حمى له الى أن جاء الاسلام فأبطل كل حمى الا حمى الله وجعل لبيته أى الكعبة حرما ومواقيت لايتعداها من يريد الدخول إلى الحرم إلا إذا كان على وصف معين فإذا دخل المسلم فى الاحرام حرم عليه أن يتخذ أى وسيلة من وسائل الرفاهية والزينة فلا يتطيب بأى نوع من الطيب ولا يلبس من الثياب ما فصل على الجسم وخيط من حلة وقميص ولا ينتعل بحذاء ساتر للرجل إلا نعلا ساذجة ولا يتزين بالخواتم وما اشبه ذلك ولا يحلق ولا يقصر أظفاره وأن يكون ممتنعا عن لذة الجسد فى أخف أشكالها وحكمة الامتناع عن هذا كله أن الحج عباده والغرض منها التقرب إلى الله والوصول إلى ما أعده سبحانه للنفس المحسنة من حسن الجزاء ولا يكون ذلك إلا بإبعاد النفس عن شهواتها وخروجها عن مألوفاتها وكفها عن لذائذها ومظهر هذا الاقتصاد على ضروريات الحياة والتجرد لله فى جميع الحركات والسكنات ومن الحكمة أيضا أنه يوحى بالتقشف والزهد فى متع الحياة والسمو والارتفاع فوق المادة وفوق ما إعتاد الانسان أن يخضع له من شهوات حسده إنها لرياضة ترجع النفس إلى طبيعتها الأولى ونحن فى الفترة القليلة التى نعود فيها إلى طبيعتنا نشعر إننا أزكى أرواحا وأطهر قلوبا كما أن الحكمة فى ذلك رياضة النفس على المشقة واحتمال المكروه. والله أعلم.

الاحــرام والسلام

يقول المحرم عندما يرى البيت الحرام اللهم أنت السلام ومنك السلام حينا ربنا بالسلام اللهم زد بيتك تشريفا وتكريما ومهابة ورفعة وبرا وزد من شرفه وعظمه

ممن حجه واعتمره تكريما وتشريفا هذا الدعاء يدل على أن من أهداف الاسلام فى الحج غرس حب السلام فى النفوس واستئصال روح الكراهية والبغضاء منها وتوجيه الناس إلى أن يعيشون إخوة متحابين ويؤيد هذا المعنى ما جاء فى القرآن فى قوله **﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾**(١) . .

بهذه الآية فرض الله الحج على المسلم وفرض على المحرم أن يكون وديعا سالما لايخاصم أحدا فهى تأمره بأن يجتنب فيه الرفث فلا يقول الخنا ولا يفحش فى المنطق ولا يلغو فى الكلام وأن يترك الفسوق فلا يخرج عن طاعة الله ولايرتكب شيئا من المحظورات وأن يدع الجدال فيه خشية التدرج الى السباب والتكذيب وإذا كان مجرد الجدال اثما فلا شك أن ما فوقه أشد منه وأعظم منكرا ولغرس حب السلام فى الأنفس حرم الاسلام على المحرم أن يقتل الحيوان البرى سواء أكان أكله مباحا أم غير مباح قال تعالى **﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما وأتقوا الله الذى اليه تحشرون﴾** (٢) . .

أيها المسلم أن الدعوة إلى الاسلام فى الحج فى أشمل معانيه يراد بها غرس السلام فى النفوس متبعى الاسلام بالمران والتدريب أى بالاعتماد على قانون العاده . .

الخضوع والانقياد لله

هنا يردد المحرم بصوت مرتفع هذه التلبية فى كل فرصة تمر به وعند كل مشهد لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك) إن هذه الكلمات بمنزلة النشيد الذى ينشده الجند فى ساحة الحرب فبث فيهم روح الحماس والاقدام والغاية من ترديد هذه التلبية أن يلقى الانسان مقاده لله وأن تحطم كبرياؤه لكى يعيش كما أمر الله أن يعيش مخلوقا وديعا واقفا عند الحدود التى شرعها له دين الاسلام . .

---

(١) سورة البقرة آية ١٩٧ .

(٢) سورة المائدة آية ٩٦.

حكمة الطـواف حول الكعبة

يطوف الحاج سبعة أشواط حول الكعبة جاعلا الحجر الأسود نقطة الابتداء لتلك الأشـواط والطواف حول الكعبة بمثابة التحية للكعبة التى هى أول بيت وضع لعبادة الله والحجر الأسود هو حجر الزاوية للكعبة وقد وضع هناك كشعارا ورمزا الى أن هذا هو الذى خلفه إبراهيم وقد كان العرب يحتفظون به كلما تغير البناء وليست للحجر الأسود قدسية خاصة غير التى ذكرنا لأن الاسلام يحرم الوثنية ثم أن الـطواف حول الكعبة تشبها بالملائكة الحافين بعرش الله الطائفين حوله المسبحين بحمده لايفترون وفى هذا من السمو الروحى ما فيه هذا والمسلمون فى صلاتهم يتوجهون شطر الكعبة خمس مرات فى اليوم فيجب عليهم إذا ذهبوا لأداء فريضة الحج أن يطوفوا محيين هذا المكان الذى بناه إبراهيم لعبادة الله وحده . .

حكمة السعى بين الصفا والمروه

السعى هو السـير بسرعة تزيد على سرعة المشى وتقل عن الركض وقد كان السعى بين الصفا والمروه من اركان الحج فى الجاهلية فأبقاه الاسلام كذكرى لحادثة تاريخية فإن أول من سعى بين الرابيتين هى أم اسماعيل زوجة إبراهيم عليه السلام وقد احتفظ الجاهليون بهذه العباده إلا أنهم وضعوا على من الرابيتين صنمان يقال لاحدهما أساف والآخر نائله فلما جاء الاسلام كسر جميع الأصنام وأبقى السعى بين الصفا والمروة لانه يوافق مبادىء الاسلام من حيث بث النشاط فى جسم الحاج وهو أشبه بالتمارين العسكرية والرياضية والله أعلم . .

حكمة الوقوف بعـرفة

فرض الله الوقوف بعرفه فى اليوم التاسع من ذى الحجة ومزايا هذا الوقوف لاتعد ، فهو المؤتمر العام لجميع المسلمين فى انحاء العالم يجتمع فيه الباكستانى والمصرى

والعراقى والأندونيسى والسودانى والتركى واللبنانى وسائر وفود الاقطار الاسلام يقفـون فى صعيد واحد يدعون الله ويسألونه الرحمة وغفران الذنوب وهو الموقف الذى تظهر فيه المساواه بين الناس وهو أعظم مظهر يمثل الأخوة الحقه بكل معانيها ومن حكم الـوقوف بعرفه تجديد العهد مع الله تعالى على استئناف حياة جديدة مستقيمة يقول الرسول عليه السلام (من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) ولايزال الحج على مر العصور نظاما لايبارى فى تسييد التفاهم الاسلامى والتآلف بين مختلف طبقات المسلمين وبفضله يتسنى لكل مسلم أن يكون رحاله مرة على الأقل فى حياته وأن يجتمع مع غيره من المؤمنين اجتماعا أخويا ويوجد شعوره مع شعور غيره من القادمين من أطراف الأرض وبفضل هذا النظام يتيسر للزنوج والبربر والصينين والفرس والترك والعرب وغيرهم أغنياء كانوا أم فقراء عظماء كانوا أم صعاليك أن يتألفوا لغة وإيمانا وعقيده وقد أدرك الاسلام نجاح لم يتحقق لدين آخر غيره من الأديان فى العالم فى القضاء على فوارق الجنس واللون والقومية بين أبنائه فهو لايعتبر ولا يعترف بفاصل بين أفراد البشر إلا الذى يقوم بين المؤمنين وغير المؤمنين ولا شك أن الاجتماع فى موسم الحج كل عام أدى خدمة كبرى فى هذا السبيل علما أننا لو استقصينا أعمال الحج التى لها أحكام عظيمة كالرمى والذبح والحلق أو التقصير لطال بنا المقام فيما لم تتحمله هذه العجاله . .

(الدرس الخامس والثلاثون فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)

أيها المسلم إذا كان الاسلام قد قرر مبدأ الشورى ونراه من جهة أخرى أوجب أن يكون فى الدولة الاسلامية جماعة من أولى الحل والعقد يمثلون الأمة وينوبون عنها ويراقبون سياستها ونظم حكمها وهذه الجماعة هى التى قصد الله سبحانه بقوله **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** . .

ليكونوا مرجعا لهم فى تشريعهم وليكونوا دعاة الى الخير وناهين عن المنكر وناصحين للرعية ولا يقتصر الأمر بالمعروف على هذه الجماعة بل يعمم القرآن هذا الواجب على المؤمنين جميعا فى قوله تعالى **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله﴾**(٢) . .

تأمل أيها المسلم كيف وعد الله المؤمنين الذين يقومون بهذا الواجب وعدهم بالرحمة والرعاية والتوفيق وكذلك يبين الله أهمية هذا الواجب وهو الأمر بالمعروف بقوله تعالى **﴿والعصر إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصو بالحق وتواصو بالصبر﴾** . .

ففى هذه السورة جعل الله الحكم بالخسارة عاما يشمل جميع الناس ثم استثنى المؤمنين المتواصين بالحق والصبر وأقسم على هذا الخبر بالعصر.

أيها المسلم التواصى بالحق هو الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والقرآن يقص علينا أمر بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك

---

(١) سورة آل عمران ١٠٤.

(٢) سورة التوبة آية ٧١.

بما عصو وكانوا يعتدون كانوا لاينتهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ (١)..

أيها المسلم أعلم أن للعن عقوبه شديده فظيعه وهى الطرد والابعاد عن رحمة الله والحرمان من توفيقه ورعايته ولاشك أن أمة تصاب بذلك هى أمة هالكة وقد ذكر الله سبب هذا اللعن أنه العصيان والاعتداء وعدم التناهى عن المنكر ثم ذم الله صنيعهم بهذه العبارة البليغة (لبئس ما كانوا يفعلون) وللنبى ﷺ وصايا فى هذا المعنى منها قوله (الدين النصيحة فسأله الصحابه لمن يارسول الله قال لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم) ويقول أيضا من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان) فبهذا الأصل سعى الاسلام إلى تكوين رأى عام موحد نحو غاية سامية ليستأصل شأفة الفساد إن وجد ولا يسكت عنه وليس أضر على الشعب من مجاهرة بعض أفراده بالاعتداء على حرمات الدين والدولة والحقوق العامة ثم لايحرك أحد ساكنا للانكار عليهم والزامهم بالاقلاع عما هم فيه من المنكر..

---

(١) سورة المائدة آية ٧٨ ـ ٧٩.

(الدرس السادس والثلاثون فى التشريع الاسلامى)

أيها المسلم كان رسول الله ﷺ فى حياته مرجع المسلمين فى جميع شئونهم الدينية يستفتونه فيما يعرض لهم من مسائل ويقضى بينهم فى خصوماتهم وفى زمنه أحكمت قواعد الشريعة وأقيمت أسسها ولما توفى الرسول ﷺ لم يكن اصحابه كلهم أهلا للفتاوى بل كان بعضهم فاهمين روح التشريع بما تلقوه من الرسول وما شاهدوه من قضائه وفتواه وكانت سلطة هؤلاء محصورة فى أمرين الأول تفهم نصوص القرآن والسنة وبيان الحكم الذى يدلان عليه. ثانيا استنباط الحكم بواسطة الاجتهاد وذلك فى المسائل التى كانت تحدث للمسلمين بعد الرسول ولم ينص على حكمها فى القرآن ولا السنة ولم يكتسب الصحابه هذا السلطان التشريعى من تعين الخليفه أو انتخاب من الأمة إنما فازوا به من طول صحبتهم للرسول وحفظهم عنه القرآن والسنة ومشاهدتهم كثيرا من أقضيته ومن مواهبهم فى العلم والفهم فلهذه المميزات تصدروا للسلطة التشريعية ودان لهم المسلمون بهذا وتفرقوا فى البلدان الاسلامية لأداء هذا الواجب التشريعى فكان فى كل بلد اسلامى عدد من الصحابة هم مرجع الولاه والجماعات والأفراد فى معرفة حكم الشريعة فيما يعرض وما يحدث من الوقائع وفى كل بلد اسلامى لأداء الواجب وفى كل بلد اسلامى التف حول علماء الصحابة بعض المسلمين وأخذوا عنهم القرآن ورووا عنهم السنة ومارسوا استنباط الأحكام فيما لانص فيه وتصدوا لافتاء المسلمين وقد انقضى القرن الأول الهجرى ولم يكن للدولة الاسلامية قانون سوى القرآن والسنة فإذا وجد أهل الفتيا من الصحابة والتابعين وغيرهم نصا اتبعوه وإلا اجتهدوا برأيهم وما كونوا هذه الأراء الاجتهادية التى تعتبر قانونا وتشريعا إلا باعتبار أن مستندها ومرجعها الى القرآن والسنة ولكن اتسعت دائرة الفتح الاسلامى وانتشر الاسلام فى الممالك القاصية

وتفرق حفاظ الشريعة ورواتها فى مختلف الانحاء وخيف من تشتيت أحكام الشريعة ودخول الفوضى فى التشريع كان هذا باعثا على أمرين الأول تدوين حديث رسول الله ﷺ، والثانى تدوين اجتهاد المجتهدين وأحوالهم التى استندوا إليها فى استنباطاتهم مثل الأئمة المجتهدين كأبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل وزيد بن على وجعفر الصادق وغيرهم ومن ذلك حين صار رجال التشريع يرجعون إلى القرآن والسنة والاجتهادات وما كان فى هذا من بأس لأن الرجوع إلى مجتهدات الأئمة ما كان إلا للاهتداء الى فهمهم القرآن والسنة والاستقامه على الاستنباط والله أعلم حيث أنهم كلهم يبحثون عن أصل واحد وهو الدين الصحيح وكل منهم يتبرأ من القول فى الدين بالرأى . .

(الدرس السابع والثلاثون فى بعض الأسس التى قام عليها التشريع الاسلامى)

أيها المسلم من دروس الأحكام الشرعية التى اشتمل عليها القرآن فى مختلف أبوابه من عقائد وعبادات ومعاملات وعقوبات ظهر أن الحكمة من تشريع القرآن والسنه هو تحقيق مصالح الناس والعدل بينهم ولهذا يقول الله عز وجل فى وصف القرآن ﴿**إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم**﴾(١) . .

ويقول فى وصف رسالة محمد عليه السلام المؤيده بالقرآن ﴿**يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم**﴾(٢) . .

وقد أدرك علماء الشريعة الاسلامية هذه الحقيقة فترى الامام الشاطبى يقول فى كتابه الموافقات أن أحكام الشريعة ما شرعت إلا لمصالح الناس ويقول ابن القيم فى كتابه الطرق الحكمية (إن الله سبحانه أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذى قامت به الأرض والسماوات فإذا أظهرت أمارات العدل وأسفر وجهه بأى طريق كان ثم شرع الله ودينه وعلى ضوء ما تقدم نرى علماء الشرع الاسلامى استمدوا من القرآن والسنه مبادىء تشريعية عامة تعتبر الدستور التشريعى الذى يبنى عليه المشرع تشريعه والقاضى قضاؤه وكل مبدأ من المبادىء التى سنذكرها ونراها تمت بسببٍ صحيح الى مصالح الناس وإقامة العدل بينهم وهى صالحة للتطبيق فى كل مكان وزمان . .

---

(١) سورة الاسراء آية ١٧

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٧

(المبادىء الخاصة بدفع الضرر)

من هذه المبـادىء الخاصة بدفع الضرر التى استمدها العلماء من قوله عليه السـلام لاضرر ولا ضرار) وهى أن الضرر يزال شرعا ومن ذلك ثبوت الشفعة للشريك والجار ووجوب الضمان على من أتلف مال غيره ووجوب الوقاية والتداوى من الأمراض كذلك الضرر بالضرر ومن فروعه أن لايجوز للإنسان أن يدفع الفرق عن أرضه بأغراق أرض غيره أو أن يحفظ ماله باتلاف مال غيره كما أنه يجب أن يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام ومن فروعه أيضا يقتل القاتل لتأمين الناس على أنفسهم ويهدم الجدار الآيل للسقوط فى الطريق العام كما أنه يرتكب أخف الضررين لاتقاء أشدهما ومن فروعه يمنع المالك عن التصرف فى ملكه ان كان تصرفه يضر بغيره . والله أعلم . .

(الدرس الثامن والثلاثون فى سد ذرائع الفساد)

ومن المبادىء الخاصة بسد ذرائع الفساد التى استمدها العلماء من قوله تعالى ﴿**ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم**﴾ (١) . .

هنا حرم الله سب آلهة أى آله المشركين مع كون السب غيظا لهم وحمية لله واهانة لألهتهم إلا أن ذلك ذريعة الى سب المشركين الله تعالى ويقول الرسول عليه السلام فى سد ذرائع الفساد (من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا إن حمى الله محارمه) وعلى هذه الطريقة استمد العلماء هذه المبادىء التى ساروا فى التشريع على ضوئها ما يقضى الى المحظور فهو محظور كما أن مالايتم الواجب إلا به فهو واجب ومـا ضر كثير فقليله حرام وقد فصل وشرح مبادىء سد ذرائع الفساد العلامة ابن القيم الجوزى فى كتابه اعلام الموقعين وذكر تسعا وتسعين مثلا على ذلك مما أمرت به الشريعة أو نهت عنه ومن الأمثلة التى ذكرها رحمه الله هى قول الرسول ﷺ حرم الجمـع بين المـرأة وعمتهـا وخالتها فى الزواج وقال إنكم أن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم حتى ولو رضيت المرأة بذلك لم يجز لأن ذلك ذريعة الى القطيعه المحرمه ومن ذلك إن الشريعه منعت قبول شهاة العدو على عدوه لئلا يتخذ ذلك ذريعة الى بلوغ غرضه من عدوه فى الشهادة الباطله ومن ذلك أن النبى عليه السلام نهى أن يبيت الرجل عند إمرأة إلا أن يكون زوجها أو ذا محرما لها أى محرم عليه زواجها وما ذلك إلا لأن المبيت عند الأجنبية ذريعة إلى الزنا ومن ذلك أن النبى نهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه أو يبيع على بيع أخيه وما ذلك إلا أنه ذريعة الى التباغض والعداوة بين أخوة الاسلام . . والله أعلم . .

(المبادىء الخاصة برفع الحرج)

أيضا استمد العلماء رفع الحرج من قوله تعالى ﴿**وما جعل عليكم فى الدين من حرج**﴾ (٢) . .

وقوله تعالى ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾(٣) . .

(١) سورة الأنعام آية ١٠٨ (٢) سورة الحج آية ٧٨ (٣) سورة البقرة آية ١٨٥

ويقول أيضا ﴿**لايكلف الله نفسا إلا وسعها**﴾ (١). .

والمبادىء التى استمدها العلماء من هذه الآيات هى أن المشقة تجلب التيسير ويتفرع عنها أن الشريعة أباحت للصائم أن يفطر فى السفر وعند المرض كما أباحت قصر الصلاة فى السفر وأسقطت الحرج وكذلك أسقطت الحج عن العاجز والمريض والحرج مرفوع شرعا ومن فروعه قبول شهادة النساء وحمدهن فى مالا يطلع عليه الرجال من عيوب النساء وشئونهم والحاجات تنزل منزلة الضرورات فى اباحة المحظورات ومما يتفرع على هذه المبادىء أكثر عقود المعاملات وضروب الشركات التى تحدث بين الناس وتقتضيها تجارتهم فإذا قام البرهان الصحيح على أن نوعا من هذه العقود أو التصرفات صار ضروريا للناس بحيث ينالهم الحرج إذا حرم عليهم هذا النوع من التعامل أبيح لهم قدر ما يرفع الحرج منه والله أعلم . .

(مبدأ الضرورات تبيح المحظورات)

هذه المبادىء استمدها العلماء من قوله تعالى : ﴿**فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه**﴾(٢).

وذكر سبحانه الذين يتجاوز عنهم إذا تلفظوا بالكفر مكرهين بقوله : ﴿**إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**﴾(٣) وأبيح أكل الميتة المحرم أكلها وشرب الخمر المحرم كل ذلك أبيح عند الضرورة بقدر ما يدفع الضرر، وعلى هذا المبدأ بني الكثير من الأحكام والله أعلم .

(المبادىء الخاصة بالبرأة الأصلية)

هي التي استمدها العلماء من قوله تعالى : ﴿**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً**﴾(٤) وقوله تعالى ﷺ : «كل مولود يولد على الفطرة» والمبادىء التى استنبطوها هي : الأصل في الأشياء الإباحة والأصل في الانسان البراءة . هذه هي المبادىء التي قام عليها التشريع .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(٢) سورة البقرة ١٧٣ .

(٣) سورة النحل ١٠٦

(٤) سورة البقرة ٢٩ .

(والدرس التاسع والثلاثون فى الزكاة)

أيها المسلم إعلم رحمك الله أن الاسلام سعى للتخفيف من طغيان رأس المال بأن فرض على مالكى الثـروات أن يتنازلوا عن حصة معينة من ثرواتهم لصالح الطبقة الفقيرة وهذه الحصة أطلق عليها أسم الزكاة وهذه الزكاة جعلها الاسلام أحد الأركان الخمسة كما أنه جعلها واجبة التحصيل والزكاة يجب اخراجها عن كل ما يملكه الشخص من أموال عينيه وتجارة وزراعة وما إلى ذلك من أشياء شريطة أن تكـون زائدة عن حوائجه الضرورية وبشرط أن يمر عليها سنة كاملة وقيمة الزكاة أثنين ونصف بالمائه فى الأموال التجارية والذهب والفضة وقد تبلغ عشرة بالمائه فى منتوج الأرض التى تسقى بدون تكاليف ونصف العشر فيما سقى بنواضح وما أشبه ذلك وينفق المتحصل فى الزكاة على الفقراء والمساكين والمثقلين بالدين واعتاق الأرقاء ولأبناء السبيل وللعاملين عليها أى الجباة.

وكـذلك جعل الاسلام قانون التوارث فالاسلام فرض التوارث لمنع تكدس الأمـوال فى أيدى قليلة ومنعـا لظهور نظام الطبقات فقانون التوارث الاسلامى ساعد على توزيع الثروات على أكبر عدد ممكن من الذرية ووسع دائرة الانتفاع بها فكل أبناء المتوفى من ذكور وإناث لهم حق الميراث بعكس القوانين الأخرى والارث فى الاسلام شرع نعمة للورثه لانقمة عليهم ولهذا لايتحمل ديون الموروث الزائده عن الشركة كما فى بعض الشرائع الحديثه وكذلك فإن الموروث لايستطيع حرمان الوارث من حقه فى الإرث بعد وفاته لأن الإرث بحكم الشرع جبرى لا بإرادة المـوروث ولا يوجـد ذلك إلا فى شريعة الاسلام كما أن النظام الاسلامى قسم الوارثين الى طبقتين الأولى طبقة الأولاد والأباء والازواج ـ الثانى الاخوة والاخوات وجميع من ذكروا فى الطبقة الأولى هم الوارثون المباشرون أما من ذكروا فى الطبقة

الثانية أنهم لايرثون إلا إذا إنعدمت الطبقة الأولى أو معظمها وقد تتفرع الطبقتان الى طبقة أخرى فيحل الأحفاد محل الإخوة وبهذا يعمل الاسلام على توزيع الثروه كل ما مات مسلم ثرى. والله أعلم. .

ومبادىء الميراث هذه قد نص القرآن عليها وهى على جانب عظيم من العدل والانصاف والآيات القرآنية فصلت الميراث تفصيلا لايوجد فى غير الاسلام وهو قوله تعالى ﴿يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان علياً حكيماً﴾ (١). .

﴿ولكم نصف ماترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم﴾(٢)

﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ أهلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم﴾(٣). .

---

(١) سورة النساء آية ١١

(٢) سورة النساء آية ١٢

(٣) سورة النساء آية ١٧٦.

(الدرس الأربعون فى الوصية)

أيها المسلم رحمك الله إعلم أن لكل مسلم الحق فى أن يوصى بنصيب معين مما له لينفق فى معاونة الفقراء والمشروعات الخيرية لنفع المحتاجين والقرآن يجعل للوصية أسمى المراتب فى تشريعه مقارنا إياها فى وجوب الاداء بالدين فكما أن الدين يؤدى لصاحبه قبل تقسيم التركة على الورثه كذلك الوصية ولهذا ترى فى تذييل آيات الميراث السابقة قوله تعالى ﴿**من بعد وصية توصون بها أودين**﴾ وقوله تعالى ﴿**من بعد وصية يوصين بها**﴾

الا أن الاسلام لم يجعل الوصية مطلقة بل حرمها على الوارث لقوله ﷺ لاوصية لوارث وكذلك حتى لايظفر بنصيبين من التركة نصيب من الآرث ونصيب من الوصية كما أنه منع أن تزيد الوصية على ثلث التركة وجعل الميراث اجباريا فى الثلثين بخلاف بعض القوانين المدنية إلا القانون الاسلامى فإنه هو الذى يأمر بتوزيع حصص الآرث توزيعا واسعا فيعطى للقرابات حصصا متفاوته اجباريا ولا يسمح لصاحب الثروة أن يتصرف فيها بالوصية إلا بالثلث وذلك للمحافظة على التوازن الاقتصادى. هذه سماحة الاسلام وعد له والله أعلم..

حفظ الأمانة والحجر على السفهاء

قال الله تعالى ﴿**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا**﴾(١)..

والسفهاء المسرفون المبذرون لأموالهم فى غير الوجه الصحيح إما لفساد أخلاقهم وضعف عقولهم أو لسوء تدبيرهم فالآية نهت المسلمين أن يطلقوا أيدى السفهاء فى

---

(١) سورة النساء آية ٥

الأموال ليبعثروها وهم لايحسنون التصرف فيها وفى الآية اشارتان بليغتان الى حث المسلمين على المحافظة على أموال السفهاء وصيانتها من اسرافهم وتبذيرهم الاشارة الأولى فى قوله تعالى ﴿**أموالكم**﴾ ولم يقل أموالهم) ليلفت أنظار المسلمين الى أن مال السفيه هو فى الـوقت نفسـه مال الأمة فيجب المحافظة عليه وعدم إعطائه للسفيه لأنـه إذا بدده وأصبح فقيرا كان عبئه على المجتمع وعلى أفراده فالضمان الاجتماعى يقضى باعتبار مال السفيه هو مال الأمة. الاشارة الثانية فى قوله تعالى ﴿**التى جعل الله لكم قياما**﴾ أى أن الأموال جعلها الله قياما أى تقوم بها معايشكم وتبنى عليها مصالحكم فهى قوام وعماد الحياة الاقتصادية ففى تضييع السفيه لها تضييع لهذا العماد الذى هو قوام الحياة فالسفيه إذا بدد ماله وأنفقه فى الفساد فكأنما بدد مال الأمة جميعا وعرض حياتها وحياة مجتمعه لخطر الفقر وخصوصا إذا تسرب هذا المال إلى أيدى أجنبيه فإنهم يبددو أموالهم الوفيره على القمار والغوانى والخمور وغيرها وسائر اللهووالعبث لذلك فإنه رفع أمر هؤلاء إلى الحكام ليحجروا عليهم ويعـطونهم من أمـوالهم قدر حاجتهم والغـريب فى الأمر أن كثيرا من المسلمين يسيرون على خلاف هذه التعاليم فترى أن ثلث ثروة أمتهم تقريبا تبدد فى السفه بواسطة سفهائهم ولا رقيب عليهم ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم..

(الدرس الواحد والأربعون في اختبار اليتامى قبل تسليمهم اموالهم)

أيها المسلم إنك ترى أن الاسلام أمر باختبار اليتامى قبل تسليمهم أموالهم فى قوله تعالى ﴿**وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن أنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا**﴾(١) . .

ومعنى الآية والله إعلم أى اختبروا أيها الأولياء الذين فى كنفكم وتحت رعايتكم من اليتامى قبل البلوغ ببعض التصرفات المالية الجزئية إلى أن يبلغوا سن الزواج فإن أنستم منهم رشدا بعد بلوغهم فادفعوا اليهم أموالهم ليتولوهم بأنفسهم والمفهوم من هذا أنه إذا لم يؤنس منهم الرشد بعد سن البلوغ لاتدفع اليهم أموالهم ثم نهى الله سبحانه الأولياء عن الأكل من أموال اليتامى وذلك عن طريق الاسراف والمسارعة فى صرفها على أنفسهم حذرا أن يكبر اليتامى فيلزموا بدفعها اليهم ثم خاطبهم الله بأنهم إذا كانوا أغنياء غير محتاجين إلى مال اليتيم فليستعفوا عن أن يأخذوا شيئا منه كأجرا على ولايتهم ليكن عملهم عملا إنسانيا ومرؤة وإذا كانوا فقراء محتاجين إلى أخذ شيئا من مال اليتيم في مقابل ولا يتهم فيباح لهم أن يأخذوا ولكن بالمعروف أى المعتاد المتعارف عليه الذى لايستنكره أهل المروءة والخبرة بالأعمال وبعد هذا أمرهم الله بالاشهاد عليهم عند دفع أموالهم اليهم لأنه يظهر أمام الشهود نزاهة أيديهم ويحول دون الجحود والتنازع فى آخر الأمر. والله الهادى إلى سواء السبيل . .

(١) سورة النساء آية ٦

(الدرس الثانى والأربعين فى تحريم الربا)

أيها المسلم إعلم أن الاسلام حرم الربا لأنه يقتل كل مشاعر الشفقة في الانسان فالمال فى نظر الاسلام وديعة فى يد صاحبها وهو موظف لخير الجماعة فليس له أن يتحين ساعة احتياجهم فيأخذ منهم أكثر مما أعطاهم والمحتاجون فى المجتمع الاسلامى يجب أن يعطوا قرضا بلا فائدة لأن هذه هي الطريقة التى تنمي المودة وتكفل التضامن بين الجماعة غنيها وفقيرها بينما الربا يثير العداوة والبغضاء فى الأفراد فالربا إعتبره الاسلام منكراً إقتصادياً غليظ الإثم لأنه يتنافى مع تعاليم الاسلام التى تحظ على المعاونة الصادقة والمساعده لمن يحتاجها قال الله تعالى **﴿يمحق الله الربا ويربى الصدقات﴾**(١) . .

ويقول أيضا فى التحذير من الربا **﴿يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تَظْلِمُون ولا تُظْلَمُونَ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾** (٢) . .

أيها المسلم إن هذه الآيات حرمت الربا تحريما قاطعا ومعناها والله أعلم إن لم تتركوا ما بقى لكم من الربا كما أمرتم فاعلموا أنكم فى حالة حرب مع الله ورسوله وعصيانكم أو أمرهما ثم قال تعالى **﴿فإن تبتم فلكم رؤس أموالكم﴾** وفى هذا نص صريح على أن الذى يستحقه صاحب الدين إنما هو رأس المال فقط بدون زيادة ما. وبعد هذا قال وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧٦ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٨ ـ ٢٨٠ .

كنتم تعلمون﴾ وفى هذا حض على إمهال المعسر إلى وقت يتمكن فيه من الأداء وحث على التصدق وذلك بالعفو عن المعسر الذى لايجد ما يفى به دينه وجاء فى القـرآن فى تحريم الـربـا قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التى أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون**﴾(١) . .

هذه الآيات نص صريحا فى تحريم الربا وبيان ما فيه من الظلم الشديد فالربا يؤدى إلى أن يأخـذ الـدائن دينه أضعافا مضاعفة ومعظم الذين استدانوا بالربا أفضت بهم العوائد الميسره إلى ضياع ما يملكون واليسير من الربا يتضاعف بمرور الزمن فلا ينتهون إلا وهم مثقلون بالدين وفوائده عاجزون عن السداد ومما يجر إلى المشاكل والخسارة ولهذا أوعد الله أكل الربا بالعذاب الشديد ليجتنبوه ويتركوه والربا الذى حرمه القرآن هو ربا النسيئة أى التأخير فى الدفع مقابل زيادة فى الدين يقول الجصاص فى كتابه أحكام القرآن ما نصه «الربا الذى كان العرب تعرفه وتفعله إنما هو إقراض الدراهم والدنانير إلى أجل بزيادة فى الدين مقدار ما استقرضه على ما يتراضـون عليه هذا هو المتعـارف المشهور بينهم» ويقول أيضاً إنه معلوم أن ربا الجـاهلية إنما كان قرضاً مؤجلا بزيادة مشروطة فكانت الزيادة بدلا عن الآجل فأبطله الله تعالى وحرمه وقال: ﴿**وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم**﴾ .

وقال ﴿**وذروا ما بقى من الربا**﴾ الحرام هو ربا النسيئه وهو الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية مثل أن يؤخر دينه ويزيده فى المال وكلما أخره زاد المال حتى تصير المائة عنده آلافا مؤلفة وهناك نوع آخر من الربا فصاته السنة وهو الذى يطلق عليه ربا الفضل وهو مبادلة عين بعين مع زيادة يأخذها أحد المتبادلين بدون تأجيل وهذا النوع من المعـاملة قليل الوقوع فى زماننا فلا حاجة إلى تفصيله هنا ولنرجع فى تفصيله فى أمهات الكتب بل المقصود هنا بيان بعض مضار الربا الذى حرمه الإسلام وهو الذى يسبب العداوة بين الأفراد وفقدان التعاون بينهم كما أن الإسلام يرمى من وراء

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٠ ـ ١٣٢ .

تحريمه إلى الحيلولة دون المحاباة لرأس المال على حساب الجمهور الكادح ويسعى لتحقيق المساواة بين أفراد الأمة فالمرابى بدلا من أن يعمل عملا مجديا يصبح كالطفيلى يعيش من كد غيره وقد شرف القرآن العمل وذم الربا قال تعالى **﴿ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا﴾**(١) . .

كما أن البيع يستلزم العمل والمهارة وإرتفاع الروح المعنوية فى الفرد إذ الربا يؤدى إلى وجود طبقة مترفه مستبدة لاتعمل شيئا وتضخم الأموال بين يديها تضخيما شديدا لايقوم على الجهد ولا ينشأ من العمل والربا يسهل على الناس أن يدخلوا فى مغامرات ليس بأستطاعتهم تحمل نتائجها. فالتاجر بدلا من أن يتجر فى المال الذى فى حوزته ويكون قادرا على السداد يأخذ مالا بفائدة ليبيع فيه ويوسع به تجارته وقد يكسب من ذلك ولكن العاقبة وخيمة إن نزلت قيمة البضائع فالديون والفوائد التى ألزم نفسه بها قد تؤدى به إلى الإفلاس كما أن الربا يوجد أضطرابا نفسيا يستمرا بالنسبة لآكل الربا والمدين على السواء. والله أعلم . . لذلك لعن رسول الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم فى الاثم سواء) (٢) . .

فآكل الربا هو صاحب المال الذى يقرضه بفائدة وموكله هو المدين الذى يستدين بفائدة يعطيها لصاحب المال والكاتب والشاهد لأنهما أعانا على ما نهى الله عنه والأحاديث فى الباب كثيرة جدا لو أردنا أن نستقصى ذلك لطال بنا المقام أيها المسلم الغيور على دينه اتق المعاملة الربويه بجميع أنواعها فإن مأل المرابى إلى حرب الله ورسوله ومن يستطع أن يقوم لحرب الله ورسوله فاتقوا الله أيها المسلمون وتجنبوا ما فيه إفساد دينكم وما يعرضكم لحرب الله ورسوله وما يقيم على هذه المعاملة الضارة الغير نافعة إلا من سفه نفسه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧٥ .

(٢) رواه مسلم

(الدرس الثالث والأربعون فى تحريم أكل أموال الناس بالباطل)

قال الله ﴿**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون**﴾[1]

والخطاب فى هذه الآية لكافة المسلمين والمعنى والله أعلم لا يأكل بعضكم مال بعض لأن ذلك جناية على الأمة التى هو أحد أعضائها التى لابد أن يصيبهم سهم من كل جناية تقع عليها ولذلك اختار الله لفظ أموالكم للإشعار بوحدة الأمة وتكافلها إذ مال البعض هو مال الكل لأن المال هو عصب الحياة للأمة فكان لزاما على الجميع أن يتكاتفوا لصيانته والمحافظة عليه ومعنى قوله وتدلوا بها إلى الحكام) أى لاتلقوا بها إلى الحكام رشوة لهم لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون)

فالاستعانة بالحاكم على أكل المال بالباطل محرم لأن حكم الحاكم لايغير الحق ولا يحل الحرام للمحكوم له به وإذا حرم القرآن أكل أموال الناس عامة نراه فى موضع آخر يشدد هذا المنع فى فئات خاصة منها تحريم أكل مال اليتامى ظلما والوعيد لمن يفعل ذلك بالعقوبة فى الأخرة قال تعالى ﴿**إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا** ﴾[2] وكذلك ذم القرآن رجال الدين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل بقوله تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله** ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٨ .

(٢) سورة النساء آية ١٠ .

(٣) سورة التوبة ٣٤.

فى هذه الآية تحذير الأحبـار والرهبان الذين يأخذون أموال الناس بغير حق ويقاس على هذا ما يبذله كثير من الناس لمن يعتقدون أنه عابد قانت لله ليدعو لهم ويكون لهم عند الله واسطة فى قضاء حاجاتهم والدعاء مطلوب من الحى دون أخذ الأموال ومنها ما أخذه سدنة قبور الأولياء والصالحين من الهدايا والنذور التى تحمل إلى تلك المواقع التى يحملها من لايعقلون معنى التوحيد المجرد لله وحده وهذه الأعمال مما حاربه الإسلام وشدد فى محاربته والأحاديث فى الباب كثيرة ولنكتفى بهذا القدر وبالله التوفيق . .

(الدرس الرابع والأربعون فى تحريم القمار)

أيها المسلم إعلم رحمك الله أن الله سمى القمار فى القرآن ميسرا وهو القمار الذى كان عند العرب فكل ما يتراهن فيه الناس من معاملة فيها الكسب المطلق أو الخسارة المطلقة يعد ميسرا أو قمارا ويدخل فى الميسر اليوم ما نسميه أوراق اليانصيب) والرهن فى سباق الخيل وقد حرم الإسلام الميسر بأنواعه فقال الله تعالى **﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوا لعلكم تفلحون﴾** (١). .

فالقمار يصد المقامرين عن الطريق القويم لكسب العيش ويعودهم الكسل وانتظار الرزق من السبل الوهمية وإضعاف مواهب العقل بترك الأعمال المفيدة من الزراعة والصناعة والتجارة التى ترقى الأمة وتضييع الساعات الطوال دون فائدة ترجى وفى القمار تخريب البيوت مفاجأة بالانتقال من الغنى إلى الفقر فكم من أسرة نشأت فى غنى وعز فأضاع رب الأسرة ثروتها فى ليلة واحدة فصارت فقيرة لاقدرة لها أن تعيش عيشة الكفاف لهذه الأسباب حرم الإسلام القمار لما ينشأ عنه من الأضرار فى الأمة. والله أعلم. .

هذا الى ما ينشأ من أضرار القمار على البدن وما يورثه من العداوة والبغضاء بين المتقامرين وذويهم نسأل الله العافية. .

---

(١) سورة المائدة آية ٩٠.

(الدرس الخامس والأربعون فى التلاعب بالمكاييل والموازين)

ومما شرعه الاسلام لحفظ أموال الناس وعدم النيل من حقوقهم الدعوة إلى تنظيم الموازين والمكاييل وعدم التلاعب فيها وقد حظر الاسلام البخس من حقوق الناس أو منعهم حقوقهم الشرعية وقال تعالى فى ذلك ﴿**وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**﴾(١) . .

وحذر الذين يتلاعبون بالأوزان بأشد العقوبات الأخراوية بقوله تعالى ﴿**ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين**﴾ (٢) . .

وعلى هذا فالواجب على الدولة الاسلامية إقامة جماعة مخصوصة يكون ميدان عملها تنفيذ ما أمر الله به من الاشراف على المكاييل والموازين وضبطها وبذلك تستقيم أحوال المسلمين إذا أقيمت فيها حدود الله ، والله هو الهادى إلى سواء السبيل . .

---

(١) سورة الرحمن آية ٩

(٢) سورة المطففين آية ١-٦

(الدرس السادس والأربعون فى ذم الاسراف والتبذير)

كذلك أيها المسلم ترى أن القرآن نهى عن التبذير والإسراف فى الأموال وعن إنفاقها فى غير موضعها لأن الإسراف يؤدي بصاحبه إلى الإفلاس فى النهاية ولهذا نرى القرآن شبه المسرفين بالشياطين الذين يعملون على إضلال الناس ويعيثون في الأرض فسادا وقال: ﴿**ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا**﴾. (١)

حفظها ووضعها في الموضع اللائق بها وذلك باعتدال الإنفاق ووصف الله عاقبة المسرف فى الآية الأخرى بقوله تعالى ﴿**ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولاتبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**﴾ (٢)..

علل سبحانه تحريم الإسراف فى الإنفاق بأنه يجعل صاحبه ملوما من الناس محتاج إلى معونة غيره متحسرا على ما فاته بسبب إسرافه فى ما أتاه الله..

(١) سورة الاسراء ٢٦_٢٧

(٢) سورة الاسراء آية ٢٩.

(الدرس السابع والأربعون فى الانفاق فى سبيل الله)

أيها المسلم إن فى القرآن دعوة سامية للقضاء على الفوارق بين الجماعات وقد حث القرآن على الإنفاق فى سبيل الله وعلى مصالح الطبقة المحتاجه وقد رغب القرآن فى هذا الإنفاق ووعد المنفقين بحسن المثوبة والأجر العظيم فى الآخرة وأيضا إن هذا الإنفاق على هذه الطبقة المحتاجة إنما يدل على الرحمة والشفقة فى قلوب المنفقين فى هذا السبيل وهو أيضا من دواعى المحبة والألفة بين المسلمين كما أنه قياما بواجب شكر المنعم عز وجل حيث أن المنفق مما أتاه الله يشعر بأن الذى وهبه النعمة قادر على سلبها إن هو أمسكها أو صرفها فى غير موضعها وهو على ما يشاء قدير والإنفاق فى سبيل الله يشمل كل ما ينفق لإعلاء كلمة الإسلام والدفاع عنه ونشره بين الناس وإقامة أحكامه وما يوصل إليه وإلى مرضات الله وهو ما كان نفعه عاما كإزالة الجهل بنشر العلم ومساعدة الفقراء ولزاما كانت ترقية الصناعات وكل ما يرفع مستوى المسلمين من كافة النواحى ، والآيات التى دعت للإنفاق فى سبيل الله كثيرة نورد منها قوله تعالى **﴿مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم، الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لايتبعون ما أنفقوا مناولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾**(١)

هنا أخبرنا الله أن ما ننفقه فى سبيله يضاعفه لنا أضعافا كثيرة فهو مفيد لنا فى الدنيا والآخرة ولكنه اشترط لهذا الثواب ترك المن والأذى، والمن هو أن يذكر المحسن إحسانه لمن أحسن إليه ليظهر فضله عليه، وأما الأذى فهو أشد منه وهو

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦١ - ٢٦٢

كأن يذكر المحسن إحسانه لغير من أحسن إليه وقد وصف القرآن الإنفاق فى سبيل الله بأنه التجارة الرابحة التى تنفع صاحبها يوم القيامة بقوله ﴿**يا أيها الذين أمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾(١)

(الانفاق على ذوى الحاجات)

أيها المسلم الإنفاق على ذوى الحاجات يدخل تحت الإنفاق فى سبيل الله ولكن القرآن حدد فئات من الناس هم أحوج إلى الإحسان والمواساة من غيرهم فمن أعمال البر والإحسان الإحسان إلى هؤلاء المحتاجين الذين ذكرتهم هذه الآية ﴿**وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب**﴾(٢)..

والمراد بإيتاء المال فى الرقاب أى بذله فى تحرير العبيد لترد لهم حريتهم ويزال عنهم ذل العبودية ووصف الله البررة فى الأية الأخرى بقوله ﴿**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاءا ولا شكورا**﴾(٣)..

وجعل الله أول صفات المكذبين بالإسلام القسوة على اليتيم والأعراض عن إطعام المسكين ﴿**أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين**﴾(٤) ويسألون أصحاب النار يوم القيامة عن سبب عذابهم فيقال ﴿**ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين**﴾ (٥)..

الانفاق من الطيبات

أيها المسلم يقول الله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ماكسبتم ومما**

(١) سورة الصف آية (١٠)
(٢) سورة البقرة ١٧٧.
(٣) سورة الانسان ٨ـ٩.
(٤) سورة الماعون ١ـ٣.
(٥) سورة المدثر ٤٢ـ٤٤.

أخرجنالكم من الأرض ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد) (١) . .

نزلت هذه الآية فى الزكاة المفروضة فقد كان الرجل من العرب يعمد إلى التمر فيعزل الجيد ناحية حتى إذا جاء صاحب الصدقة أعطاه من الردىء ومعنى الآية والله أعلم أن أنفقوا من جياد أموالكم ولا تقصدون الخبيث فتجعلونه هو صدقتكم ثم وبخهم الله بأنهم كيف يتصدقون بالخبيث وهم لايرضونه لأنفسهم إلا أن يتساهلوا عن من أغمض عينيه فلم يرى العيب الذى فيه وهذا مما لايليق بعاقل حيث أن الصدقة عائدة بنفعها وثوابها إلى المتصدق بها إذا فالصدقة الطيبة ينتفع بها صاحبها ويؤجر عليها من جنسها أى أجرا طيبا (والجزاء من جنس العمل ومثل ما تدين تدان وهذا ظاهر فإن أحدنا إذا نزل برجل من الحى وأكرمه وقدم له من الطيب ما يجد فإنه يمدحه ويشكر صنعه ذلك ويكون ذلك بمثابة الرصيد عند من أسدى إليه هذا الإكرام إلى حين يحتاجه صاحبه هذا مثل مما هو مشاهد بيننا ولله المثل الأعلى فإنه يجازى على الحسنة بعشرة أمثالها ولكن مع هذا أخبرنا النبى ﷺ بأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً والله سبحانه أمرنا أن ننفق من الطيب فى قوله تعالى ﴿**وأنفقوا من طيبات ما كسبتم**﴾ والله هو الهادى إلى سواء السبيل، ، .

المال ملك الله

أيها المسلم القرآن يوجه نظر الإنسان إلى أن المال هو ملك الله وأن الإنسان ما هو إلا نائب عن الله عز وجل يأمره فى الإشراف على هذا المال فلا يحمل به أن يعصى ربه فى ما استودعه إياه، أنظر إلى هذه الآيات التى قررت هذه الحقيقة فالله مالك السموات والأرض ﴿**ولله ملك السموات والأرض**﴾ (٢) . .

وهو الذى يرزق جميع الناس (**هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض**) (٣)

(١) سورة البقرة آية ٢٦٧ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٨٩ .
(٣) سورة فاطر آية ٣ .

والنـاس مكلفـون بالإنفاق مما رزقهم الله واستخلفهم فيه **﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾** (١) . .

﴿وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول ربى لولا آخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾ (٢) . .

﴿وآتوهم من مال الله الذى آتاكم﴾(٣) . .

وعلى هذا يجمل بالبشر أن لا يتأخروا عن تنفيذ أمر الله في ماله الذي استودعهم إياه وحيث أنهم أمروا أن يؤتوا منه فئات من الناس محتاجين فعليهم أن يبادروا إلى ذلك حسب الاستطاعة وقد قيل خير البر عاجله وبالله التوفيق .

« الاحسـان قـرض لله»

أيها المسلم القرآن يحض على الإحسان ويرغب فيه بأسلوب في غاية الروعة من ذلك قوله تعالى **﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط﴾**(٤) فأي تلطف من الله في هذا التعبير حين يجعل الإحسان بمثابة الإقراض لله وإنما جاء التعبير في هذه الصورة نيابة عن الفقراء والمحتاجين ودفاعا عنهم ومـا قيمـة امـرىء يبخل بإقراض بعض المال لواهبه الذي سيراه أضعافا مضاعفه ثم يختم الله هذه الآية بقوله **﴿والله يقبض ويبسط﴾** فلو شاء لأغنى فقيرا وأفقر غنيا فإن الأمر كله بيده وله الأمر كله وهو على كل شيء قدير . .

«مورد الفقراء لاحد له»

أيها المسلم إن الإسلام جعل للفقراء موردا لا حد له عن طريق الكفارات التي فيها معنى العقوبة أو البدل أو جبر الناقص مثال ذلك أن يحلف الرجل يمينا أن

---

(١) سورة الحديد آية ٧ .

(٢) سورة المنافقون آية ١٠ .

(٣) سورة النور آية ٣٣ . (٤) سورة البقرة آية : ٢٤٥ .

يفعـل شيئـا أو يتركه ثم يعدل عن ذلك فإنه في هذه الحالة ملزم بإطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم أهله أو كسوتهم أو تحرير رقبة وقد يعجز الرجل عن صوم رمضان لسقم أو هرم فيفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا ويقبل عيد الفطر فتجب الزكاة الفطر على كل مسلم كما يجب على القادر المستطيع ذبح أضحية في عيد الأضحى ليطعم منها الفقراء وقد يخل الحاج بشرط من شروط الحج الأساسية فيكفر بذبيحة يقدمها للمساكين وقد ينذر المسلم لله نذرا فيوجب عليه الإسلام أن يفي به برا بالفقـراء وعـونـا لهم وقـد يعجـز الرجل عن تكاليف العيش لسبب اضطراري فيوجب الإسلام على قريبه من البشر أن ينفق عليه فلينفق الابن على الأب والأب على الابن والأخ على الأخت والزوج على الزوجة، كما أن الإسلام شرع الـوقف ليصرف ريعـه في وجـوه البر عامة هذه بعض تشريعات الإسلام الاقتصادي وغايته التقارب والتوفيق بين الطبقات المختلفة والقضاء على الفقر ولو أردنا الإسهاب في شرح ما جاء في القرآن والسنة لضاق بنا هذا البحث ولكن أحببنا أن نعطي صورة لبعض أصول القرآن الرئيسية التي تشهد بعظمة وسمو مصدره الإلهي وصلاح هذه الأصول لكل زمان ومكان والله أعلم . .

(الدرس الثامن والأربعون في الزكاة)

الـزكـاة صدقة والصدقة زكاة إختلف الأسم واتفق المسمى قال الماوردى فى أحكامه السلطانية الزكاة فى اللغة معناها الطهارة وقد سمى الله الصدقه المفروضة زكاة لأنها تطهر النفس. قال تعالى ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ (١) ومـا ذكره الله تعالى من تطهير الصدقة للمؤمنين يشمل أفرادهم وجماعاتهم فهى تطهر نفوس الأفراد من أرجاس البخل والدناءة والقسوة والطمع ومن أكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك من الرذائل الاجتماعية التى هى مثار التحاسد والعداوة والفتن والحروب وجميع المشاكل.

«تأثير الفقر فى المجتمع»

قد ثبت أن الفقراء فى الطبقات السفلى من المجتمعات أدواء المجتمع فالفقر يحمـل الفقراء الواقعين فيه وتحت سلطانه على إتيان الثرور للحصول على أدنى حاجات الحياة وهو القوت فالبطون إذا جاعت دفعت أصحابها لاستساعة جميع صنوف الجرائم وأعدت ذلك عملا مشروعا وفى البيئات التى يشيع فيها الفقراء تروج جميع المذاهب المتطرفة وتستحل جميع الأعمال الوحشية للوصول إلى أغراضها وقد شوهد ما يولده الفقر من الأعمال الضارة من الشغب والثورات الدموية التى لاتبقى ولاتذر فى زمن اشتداد الفقر والحاجة.

أيها المسلم قد أمر الله المسلمين بدفع الزكاة فى مواضع كثيرة ولم ترد فى القرآن آية تدعـو إلى إقـامة الصلاة إلا مقرونة بالدعوة إلى إيتاء الزكاة فالزكاة والصلاة دعامتان متينتان بنى عليهما الإسلام ومن ذلك قوله تعالى ﴿**فأقيموا الصلاة وآتوا**

(١) سورة التوبة آية ١٠٣.

الزكاة﴾(١) . .

كما أن المسلم لاتحصل أخوته الدينية للمسلمين إلا بأدائها **﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين﴾**(٢) . .

وقد أنذر النبى ﷺ ما نعى الزكاة بالجدب وضيق العيش فقال النبى ﷺ **﴿وما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطر ولولا البهائم لم يمطروا﴾** . .

(الزكاة إحدى فرائض الدين)

أيها المسلم إن الإسلام لم يجعل فريضة الزكاة ترجع إلى هوى الشخص إن شاء أعطى وإن شاء منع لا بل جعلها فريضة لأنها حق معلوم للسائل والمحروم)

فكان حقا على الإمام أن يجمع حقوق الفقراء ويوزعها عليهم بالعدل ولهذا كان النبى ﷺ يجمع الزكاة ويأمر أمراءه بجمعها من الأغنياء ليردها على الفقراء ثم بعد وفاته ومبايعة أبى بكر الصديق بالخلافة حدث أن أعلن بعض العرب بمنعها وظنوا أن الخليفة لايستسيغ مقاتلتهم ولكن أبا بكر جمع سراة الصحابة وتشاور معهم ثم أجمعوا على قتالهم أى ما نعى الزكاة فأعدوا العدة وخرجوا إلى ما نعى الزكاة وضربوهم ضربة حاسمة أرجعت للمجتمع الإسلامى وحدته وثبتت تعاليمه السامية التى جاء بها القرآن ولقد كانت حربا أهلية لإنصاف الطبقة الفقيرة والذين قاموا وحاربوا فى زمن الخليفة أبى بكر هم سراة الصحابة ورجال الحل والعقد وعلى رأسهم الخليفة نفسه الذى قال فى هذه الحادثة والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه أو أهلك دونه) ومن هذا يتبين لنا أن الزكاة ليست إحسانا فرديا وأن اعتبارها بهذا المفهوم خروجا بها عن معناها الحقيقى بل هى حقوق إجبارية فى أموال الأغنياء تؤخذ منهم لتصرف على الطبقة الفقيرة مثل ما أمر الله فى قوله تعالى **﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾** (٣) والله أعلم . .

---

(١) سورة الحج آية ٧٨.

(٢) سورة التوبة آية ١١ .

(٣) سورة التوبة آية ٦٠ .

(أنـواع الـزكاة)

أيها المسلم إن الأنواع التى تجب فيها الزكاة شرعا هى خمسة أنواع :

الأول ـ الـذهب والفضـة. الثـانى : أمـوال التجارة. الثالث: المحصولات الـزراعية. وثـمار الأشجـار والكرم. الرابع : السوائم من الأبل والبقر والغنم. الخامس: المعادن والكنوز وما عدا هذه الأنواع الخمسة من الأموال لاتجب فيها الزكاة فلا زكاة فى الدور المعدة للسكن ولا فى الثياب الخاصة ولا فى أثاث المنزل ولا فى دواب الركوب ولا فى السيارات المعدة للاستعمال الشخصى ولا فى الأسلحة والتحف وأدوات الـزينـة والحلي على خلاف بين العلماء فى ذلك ليس هذا محله وكذلك الجواهر الكريمة ولا فى آلات الصناعة والزراعة وكتب العلم أما إذا اتخذ شىء من ذلـك للتجارة فإنه تجب فيه الزكاة متى اتخذ لهذا الغرض أما المعادن النفيسة غير الذهب والفضة فقد درج الفقهاء على اعتبار أن لازكاة فيها ولكن الحق أن يطبق على هذه المعادن حكم الذهب والفضة فى وجوب الزكاة عليها فإذا بلغت قيمتها نصاباً ذهبياً أو فضيا أخرجت زكاتها والله أعلم . .

(شـروط الـزكاة)

أيها المسلم إن للزكاة شروط يجب أن تتوفر فى كل نوع من الأموال التى تجب فيها الزكاة وهى أربعة الأول: أن يكون المال مملوكا ملكا تاما والمراد بتمام الملكية أن يكون المال ثمرته له وعلى هذا الشرط فالمال الموقوف لاتجب فيه الزكاة وكذلك الديون التى فى ذمم المدينين التى لايرجى سدادها وكذلك المال الذى ليس لمالكه حق التصرف فيه كالمال المرهون والقائم بشأنه نزاع الشرط الثانى أن يبلغ النصاب القدر الذى حدده الشرع لكل نوع من هذه الأموال وعلى هذا الشرط فالمال الذى لايبلغ النصاب لازكاة فيه لأن الزكاة لاتجب إلا فى الزائد عن حاجة المالك الأصلية لقوله تعالى ﴿**ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو**﴾ (١) . .

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٩.

أى الفائض عما يحتاج إليه والشرط الثالث أن تمضى عليه سنة قمرية على هذا النصاب وهو مملوك لصاحبه ملكا تماما وعلى هذا الشرط إذا زالت ملكيته عن ماله بعـد نصف السنة أو أكثر فلا تجب عليه الزكاة فيه حيث أن مرور السنة شرط لوجوب الزكاة فى ما عدا الحاصلات الزراعية وما يعثر عليه فى بطن الأرض من معادن وكنوز فتلك تجب فيهما الزكاة عند ظهورهما . أما الشرط الرابع فهو أن يكون المال زائدا عن حاجات مالكه الضرورية وعن ديونه وعلى هذا الشرط فالمال الذى لايفى بحاجات مالكه وحاجات من يعولهم ومن تلزمه النفقة عليهم أو مستغرق بديون عليه لاتجب فيه الزكاة حيث أن صاحبه محتاج وربما يكون ممن يكون لهم حق فى الزكاة.

أيها المسلم الزكاة تؤخذ كل عام مرة واحدة لأن نماءها لايتحقق إلا بمرور العام وهذا الحكم بالنسبة للأموال المنقوله أما زكاة الزرع فتتكرر كلما أنتجت الأرض كما أن مال الصبى تؤخذ منه الزكاة ومن مال المجنون والسفيه إذا بلغ مالهم النصاب ويدفعها الوالى أو الوصى على أموالهما ولا فرق فى الزكاة بين أموال الذكور والإناث وبين سجين وطليق ومقدار الواجب فى الزكاة هو ربع العشر فى الذهب والفضة أما الحاصلات الزراعية فالواجب فيها عشرة فى المائة إذا سقيت بدون آلات أى من مطر أو نهر أو عين وخمسة فى المائة إذا سقيت بآلات وإذا أختلف السقى كان الحكم للأغلب وإن تساويا كان الواجب إخراج نصف العشر أما أموال التجارة فنصابها كنصاب الذهب والواجب فيها ربع العشر كذلك والله أعلم . . أما السوائم كالأبل والبقر والغنم فلكل نوع منها نصاب مقدر لاتفرض الزكاة فى ما دونه (ففى الإبل لازكاة فيما دون الخمس وفى الغنم لازكاة فيما دون الأربعين وفى البقر لازكاة فى ما دون الثلاثين والواجب فى خمس من الإبل شاة وفى الأربعين من الغنم شاة وفى ثلاثين من البقر تبيع أى واحدة منها أتم السنة ودخل فى الثانية(١) والإبل إسم يشمل الجمال والنوق والغنم كذلك إسم يشمل الضأن والمعز والبقر كذلك إسم

---

(١) من أراد أن يعرف الواجب فيما زاد عن خمس من الابل واربعين من الغنم وثلاثين من البقر فليراجع كتب الفقه فإنها قد فصلت ذلك

يشمل الجاموس وليس فيما عدا هذه الثلاثة الأصناف من المواشى زكاة، ولو كانت سائمة فلا زكاة فى الخيل والبغال والحمير ولعل الحكمة فى هذه إن الإبل والبقر والغنم هى التى لها نماء بالدر والنسل فتكون الزكاة من نمائها لأنها تقصد للدر والنسل وإنما ذكر الفقهاء أن لازكاة فى الخيل والبغال والحمير لأنها تتخذ للحاجة فالفرس للجهاد والبغال والحمير للحمل وغيره أما إذا إتخذت للاستغلال فإن لها نسلا ونماء فعندئذ تجب فيها الزكاة والله أعلم . .

(الدرس التاسع والاربعون فى البعث)

أيها المسلم اقتضت حكمة الله أن جعل وراء هذه الدار دارا أخرى يرى فيها المرء جزاء أعماله إن خيرا فخير وإن شرا فشر وقد جاء القرآن الكريم لإقناع الناس بأن تلك الدار هى حق لينظروا إليها ويقصدون بها يأتون من عمل وجه الله وثوابه وقد أهتم القرآن بشأن البعث والدار الآخرة اهتماما عظيما فقلما نجد سورة من سور القرآن إلا وتذكر البعث وتقرر أمره على نحو ما وكثيرا ما نجد فيه سورا تقوم بأسرها على هذا الشأن فتفيض فيه ما بين تذكير وبيان وضرب للأمثال ونفى للشبه وغير ذلك وإنما عنى القرآن بهذه العقيدة لأنها أصل عظيم من أصول الصلاح والإصلاح فى العالم فلو أن الناس جميعا قد استقرت فيهم العقيدة وآمنوا بها إيمانا لا يخامره شك لاستقامت أمورهم وكثير فيهم الخير والإحسان وقل بينهم الشر والفساد ولكن البشر فى كل عصر تغلب عليهم الحياة الدنيا وتغلبهم بزخارفها ومتاعبها وكثير منهم يعتريهم الشك فى البعث ودار الجزاء فلا يصدقون أنهم مبعوثون بعد الموت وأنهم سيعرضون للحساب . . وإنكار البعث أو الشك فى أمره يرجع فى ذهن المنكر أو الشك إلى أحد هذه الأمور التالية أو جميعها أولا : كونه أمرالا تدعو إليه حاجة الناس وليس وراءه مصلحة ترجى . ثانيا استبعاده واستعظام أمره فإن الأحياء قد ألفوا أن يروا أجساد الأموات تتفرق وتتحلل وتفسد وتفنى فى الأرض فلا تكاد عقولهم تسلم بسهولة أمر عودتها وصيرورتها جسما حيا يسعى ويدرك. ثالثا : مخالفته لما الفوا من السنن الطبيعية حيث لم يعهد الأحياء أن ميتا بعث من رمسه وعادت إليه الحياة كرة أخرى وقد عالج القرآن ذلك ورد على كل فريق من هؤلاء بما يناسب زعمهم فقال تعالى للذين يزعمون أنه أمر لاتدعو إليه حاجة ولا تقضى به حكمة قال الله تعالى ﴿**ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين**

أحسنوا بالحسنى﴾(١) . .

وقال أيضا ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون**﴾(٢) . .

وقال للذين يستبعدون البعث ويستعظمون أمره أن الله لايعجزه شىء وليس عليه شىء بمستبعد فهو القوى القادر الذى خلق الإنسان وأنشأه من العدم قال تعالى ﴿**وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه**﴾(٣) . .

وقال أيضا ﴿**وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم ، قل يحيها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم**﴾(٤) . .

أما الذين حسبوا أن البعث مخالف للسنن المألوفة فالله وجه الخطاب إليهم بقوله تعالى ﴿**يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب**﴾(٥) . . **ثم من نطفة ثم من علقة**﴾(٦) . . **ثم من مضغة**﴾(٧) . .

مخلقة وغير مخلقة . . (٨) لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لايعلم من بعد علم شيئا) (٩)

وقال تعالى ﴿**وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من**

---

(١) سورة النجم آية ٣١

(٢) سورة المؤمنون آية ١١٥

(٣) سورة الروم آية ٢٧

(٤) سورة يس آية ٧٨ ـ ٨١

(٥) سورة الحج آية (٥) أما أن الله خلق الانسان من تراب فذلك ما يؤيده الواقع ويقره العلم بلا ريب.

(٦) غلة : قال فى المنجد (العلقة كل ما يعلق) بضم الياء وفتح العين وتشديد اللام.

(٧) مضغه : سمى الجنين فى هذا الطور مضغة للشبه الكبير بينه وبين قطعة اللحم الممضوغة .

(٨) مخلقة وغير مخلقة : أى قد تكون المضغة منتظمة الشكل وقد تكون غير منتظمة الشكل وقد أثبت الطب هذا الواقع فعلا.

(٩) نقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى : أى أن الله يثبت الحنين فى الرحم حسب مشيئته الى وقت معين قدره الله سبحانه.

كل زوج بهيج﴾(١) وقال تعالى **﴿ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور﴾**(٢) . .

ففى هذه الآيات دليل على ثبوت البعث أولا فى خلق الإنسان وكيف نشأ من تراب ثم مراحل تطوره من كونه جنينا إلى أن يصبح إنسانا كاملا ثم يصير إلى الموت والدليل الثانى فى الأرض الهامدة الميتة التى إذا أنزل الله عليها الماء دبت فيها الحياة وأنبتت نباتا حسنا وهكذا يكون البعث يوم القيامة قال الله تعالى **﴿وننزل من السماء ماءً مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج﴾** (٣)

يدلل الله سبحانه وتعالى بهذه الآيات على إمكان البعث بالنبات والأشجار التى تنبت وتنمو حين ينزل المطر فيبلل الأرض فتتغذى بما يذيبه من جسم الأرض وكذلك يكون البعث وخروج الناس أحياءا بعد موتهم وكذلك ترجع إليهم قوة النماء كما يحصل فى النبات والأشجار أن لنا فى ذلك لعبرة لمن كان له قلب. والله أعلم والهادى إلى سواء السبيل . .

---

(١) سورة الحج آية ٥ .

(٢) سورة الحج آية ٦-٧.

(٣) سورة ق آية ٩-١١ .

(الدرس الخمسون فى أهوال يوم القيامة)

أيها المسلم إن القرآن عنى بتصوير الهول الشديد ليوم القيامة ذلك الهول الذى يشمل الطبيعة بما فيها ويسيطر على النفس الإنسانية ويهزها من الفزع قال تعالى **﴿إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت وإذا الصحف نشرت وإذا السماء كشطت وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت﴾**(١) . .

ففى هذه الآيات مشهد انقلاب تام لكل معهود ومشاهد فى هذا الكون فالشمس قد أزيلت من مكانها ومحيى ضوؤها فلا ضوء ولا شعاع والنجوم المنتظمة المنيرة قد تناثرت وخبأ نورها والجبال الثابتة قلعت وتطايرت فى الهواء والنوق الحبلى قد أرسلت وأهملت ولم يعن بشأنها لاشتداد الخطب والوحوش هالها الرعب وإجتمعت وأختلط بعضها ببعض والبحار قد فاضت وصارت بحرا واحدا والأرواح المنفصلة عن أجسادها عادت إليها والبنت التى دفنت بلا سبب ولا جريمة بعثت لتسأل وتناقش فى ذنبها الذى وئدت من أجله والصحف المطوية التى فيها أعمال الإنسان نشرت والسماء قد أزيلت فلم يبق لها نظام ثابت والجحيم قد أمدت بالوقود وتأججت بالنيران والجنة قد هيئت وأعدت للمتقين وفى هذا اليوم الذى ينقلب فيه كل شىء عن حاله تعلم كل نفس ما أحضرت من الأعمال سواء كان خيرا فتصير به إلى الجنة أم هو شر فتصير به إلى النار ومرة تبرز مشاهد الطبيعة وحدها يحركها الهول ويرجها كما فى قوله تعالى : **﴿إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها**

(١) سورة التكوير آية ١ ـ ١٤

كاذبة خافضة رافعة إذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا﴾(١)

والواقعة هى القيامة لامجال لتكذيبها فهى ترفع بعض أقدار الناس وتخفض آخرين فهى ترج الأرض وتهزها وتجعل الجبال فتيتا يتطاير فى الهواء كالبهام وتلمح الهول يغشى النفوس الإنسانية كما قال تعالى **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾**(٢) . .

فكل مرضعة يوم القيامة تذهل عن رضيعها وكل حامل تسقط جنينها من شدة الهول المروع الذى ينتابها والناس يبدون فى مظهرهم سكارى وما هم بسكارى فى حقيقة الأمر ولكن الهول الذى دهاهم ونزل بهم وعاينوه بأعينهم فى ذلك الموقف الرهيب الذى جعلهم حيارى كأنهم سكارى مرعوبين ثم نلمح الهول أيضا متجسما فى صورة أخرى فى قوله تعالى: **﴿فإذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾**(٣) . .

ذلك هو هول يوم القيامة الذى يجعل الإنسان يفر من أقرب الناس إليه فكل نفس وشأنها ولديها الكفاية من الهم المحيط بها فى ذات نفسها فهذا هو اليوم الذى يجب على المسلم أن يتقيه ويعد له العدة من العمل الصالح ولا يغفل عن هول ذلك اليوم إلا جاهل أو مغرور والعياذ بالله ونسأله العافيه . .

الحساب فى الآخرة

يوم ينظر الإنسان فيرى الخير والشر يصطرعان حوله ويشهد معركة الفضيلة والرذيلة وكثيرا ما ينصر الشر على الخير وهو يعز عليه أن لاينال الخير أجره وأن لايلقى الشر جزاءه والاعتقاد بوجود ألوهية عادلة يستتبع حتما جزاء على الخير والشر إن لم يتم فى

(١) سورة الواقعة آية ١ ـ ٦

(٢) سورة الحج آية ١ـ٢

(٣) سورة عبس آية ٣٣ ـ ٣٧

عالم الأرض فلا بد أن هنـاك عالم آخر والقرآن كثرت فيه الآيات التى تقرر أن الإنسان محاسب على أعماله ونياته بألوان شتى من طرق العرض الكثيرة فبعض هذه الآيات عنيت بتصوير مواقف الحساب مع أهوال يوم القيامة ويتبين لنا ذلك فى هذه الآيات قال تعـالى﴿**يسأل أيان يومُ القيامة فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر كلا لاوزر إلى ربك يومئذ المستقر ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره**﴾(١) . .

ففى هذه الآيات مشهد لهول يوم القيامة مع موقف الحساب فالبصير يتحير ويدهش فلا يبصرون من شدة الهول والقمر ينخسف والشمس تقترن بالقمر بعد افتراق وقد انفرط نظام الكون وفى وسط الذعر والانقلاب يتساءل الإنسان المذعور المرعوب أين المفر فيقال له لا ملجأ ولا مفر بل المرجع إلى الله حين ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وآخر من أعمال فهناك لاتقبل منه الأعذار فهو على نفسه بصير وكذلك نرى القرآن يعرض موقف الحساب فى صورة أخرى قال تعالى ﴿**إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثال ذرة شرا يره**﴾(٢) . .

فالأرض تهتز وترتجف يوم القيامة وتخرج ما فى جوفها من الدفائن والكنوز والموتى ويبهت الإنسان حين ذلك ويروع من شدة ذلك المشهد الذى لم يألفه من قبل فيتساءل حين ذاك فيقول مالها تضطرب وتخرج ما فيها من الدفائن فيأتيه الجواب من الأرض وكأنها انقلبت شخصية حية تسأل فتجيب بأن الأمر الإلهى صدر إليها بأن تكون خرابا أى أن حالها وما يقع فيها من الانقلاب غير معهود يعلم السائل ويجيبه بما حدث ويومئذ ينصرف الناس متفرقين يبعثرهم الهول ليروا أعمالهم .

---

(١) سورة القيامة آية ٦ ـ ١٥

(٢) سورة الزلزال آية ١ ـ ٨

فالخير يلقى جزاءه مهما قل والشر كذلك يلقى جزاءه مهما قل وفى بعض الآيات نرى القرآن يقتصر فى عرض مواقف الحساب بدون أن يقرنها بأهوال يوم القيامة كما فى هذه الآيات قال تعالى **﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت، كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون﴾**(١) . .

تأمل أيها المسلم وتدبر هذه الآيات تراها تبدأ بمشهد الاحتضار وإعلان التوبة لدى قدوم الموت وطلب الرجعة إلى الدنيا لإدراك ما فات فإذا الرد على هذا الموقف لايوجه إلى صاحبه خاصة بل يوجه إلى الناس عامة بقوله تعالى **﴿كلا إنها كلمة هو قائلها﴾**فطلبات الإنسان حينئذ لامعنى لها ولا يجاب عليها وهو هناك حيث فارقته الروح وكيف يرد هؤلاء إلى الدنيا ومن أمامهم حاجز يصدهم عن الرجوع وهو الموت يصيرون إليه فيبقون إلى يوم القيامة يوم البعث فإذا أُعلم الإنسان بيوم البعث وعبر عن هذا الإعلان بالنفخ فى البرق إذ يهب الموتى من قبورهم يعروهم الخوف والدهشة بحيث يغفل كل إنسان عن أقرب الناس إليه لانشغاله بنفسه ثم يعرض ميزان الحساب للحسنات والسيئات فإن ثقلت كفة الخير نجا صاحبه وإن ثقلت كفة الشر هلك والعياذ بالله .

أخى المسلم أعلم أرشدك الله بأن الله يحاسب العبد على نياته ولذلك يقول عز من قائل **﴿لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾**(٢) الآية كانت في أول الإسلام ثم أتبعت بالآية التى بعدها **﴿لايكلف الله نفسا إلا وسعها﴾**(٣) . . والله أعلم .

هذا بعض ما ورد فى القرآن من الآيات التى تبين أن الإنسان لم يترك سدى بل

---

(١) سورة المؤمنون آية ٩٩-١٠٣ (٢) سورة البقرة آية ٢٨٤

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

إن الله سيحاسبه على كل ما أقترفه من السيئات والحسنات قال تعالى ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون**﴾(١) . .

ويقول سبحانه وتعالى فى هذه الآية أى أتظنون أننا خلقناكم دون قصد وبغير حكمة وبذلك أنكرتم البعث والجزاء على الأعمال يوم القيامة كلا لم نخلقكم عبثا كما قلتم بل خلقناكم لنمتحنكم فنثيب المحسن ونعاقب المسىء والله أعلم . .

(١) سورة المؤمنون آية ١١٥ .

الدرس الواحد والخمسون فى النعيم الحسى نعرضه بعد عرض الحساب

بعد عرض الحساب فى الآخرة نعرض النعيم الذى وعد الله به عباده المتقين وهو النعيم الحسى فنقول: أطلق الله على مكان النعيم الذى يقيم فيه المتقون أسماء شتى أكثرها ورد فى القرآن الكريم بألفاظه (الجنة ومعناها كأنها بتكاثف أشجارها والتفاف أغصانها تستر ما فيها لأن الجنة مشتقة من جن أو ستر الشىء من الحاسة والأسماء الأخرى التى أطلقها القرآن هى دار السلام ودار الخلود ودار المقامة وجنة المأوى وجنات عدن والفردوس وجنات النعيم والمقام الأمين فالجنة هى دار الذين آمنوا وعملوا الصالحات ودار الذين إتقو ربهم ودار عباد الله المخلصين ودار الذين يخافون ربهم ودار الموفون بعهد الله إذا عاهدوا ودار المجاهدين فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ودار التائبين العابدين الحامدين السائحين الراكعين الساجدين لله الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وقد وصف الله الجنة لأصحاب هذه الصفات وغيرها من الصفات التى يحبها حتى تطمئن قلوبهم وتقوى عزائمهم على الطاعات ونعيم الجنة منه ما هو مادى حسى ومنه ما هو روحى معنوى هذا مفهوم القرآن الكريم وها نحن نعرض بعض آيات القرآن فى وصف النعيم المادى (أنهار الجنة)

قال الله تعالى ﴿**مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم**﴾(١) . .

ففى هذه الآية وصف لأنهار الجنة أنها من ماء ولبن وخمر وعسل كل ذلك وكل شىء فى الجنة بلا حساب لاينضب له معين فهى أنهار تجرى بأطايب الحياة التى يشتهيها الإنسان ولا يوجد منها إلا القدر اليسير وهذه الأنهار من نوع أجود ومن

(١) سورة محمد آية ١٥ .

من طعم ألذ ومعها كل أنواع الفواكه وفوق هذا كله مغفرة من ربهم ويقول سبحانه ﴿**قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم**﴾(١) . .

والمراد بأن الجنة تجرى من تحتها الأنهار أى أن نخيلها وأشجارها تتخللها الأنهار وتجرى فيها المياه وأروع البساتين منظرا ما كانت أشجارها مظلمة جارية من خلالها والله أعلم . .

أشجار الجنة وثمارها

قال الله تعالى ﴿**وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون**﴾ (٢) . .

وأمر الله رسوله أن يخبر المؤمنين بخبر يسرهم وهو أن الله أعد لهم عنده جنات مثمرة تتخللها الأنهار الجارية أشجارها وقصورها كلما رزقهم الله فى هذه الجنات رزقا من بعض ثمارها قالوا أن هذا يشبه ما رزقنا من قبل في الدنيا لأن هذه الثمار التى ينالونها تتشابه أفرادها فى الصورة والجنس ولكنها تتميز فى الطعم والذة ولهم فيها أيضا زوجات كاملات الطهارة ليس فيهن ما يعاب وهم سيحيون فى هذه الجنات حياة أبدية خالدة ويقول الله تعالى فى وصف الجنة ﴿**ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا**﴾ (٣)

والمعنى والله أعلم أن ظلالها قريبة من الأبرار مظللة عليهم زيادة فى نعيمهم أما ثمارها فقد سخرت لتناولها وسهل أخذها والله أعلم . .

(طعام الجنة وشرابها)

قال الله تعالى فى وصف النعيم الذى يخص به عباده المؤمنين ﴿**ياعبادى لا خوف**

(١) سورة المائدة آية ١١٩

(٢) سورة البقرة آية ٢٥ .

(٣) سورة الانسان آية ١٤ .

عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . الذين آمنوا بأياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون﴾(١) . .

فهؤلاء عباد الله الصالحون يناديهم الله يوم القيامة بأن لاتخافوا من العذاب ولا تحزنوا على فراق الدنيا فقد هيألهم جنات النعيم هم وأزواجهم جزاء أعمالهم ثم وصف الله ما يتمتعون به من النعيم فيها وهى صحاف من الذهب فيها أطيب أنواع الطعام وهاهى الأكواب تحتوى على ألذ أصناف الفاكهة التى يشتهونها ويقول عز وجل فى موضع أخر **﴿إلا عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون فى جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لافيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾(٢) . .**

فعباد الله المخلصون يوم القيامة لهم جنات يتمتعون فيها بلذيذ الفواكه وهى تقدم لهم وهم مكرمون كما تقدم للملوك وذو اليسار فى الدنيا وهم جالسون على سرر متقابلين وكما تقدم لهم بطيب المأكل يتمتعون بلذيذ الشراب فيؤتى لهم بصنوف الخمر التى تتميز بلونها الأبيض ولذة طعمها وهذه الخمر لاتؤثر فى الجسم كما تؤثر فيه خمرة الدنيا فلا تصدع الرأس ولا تفسد العقل بالسكر . .

(ثياب الجنة وحللها)

قال الله تعالى **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا﴾(٣) . .**

---

(١) سورة الزخرف آية ٦٨ ـ ٧٣ .
(٢) سورة الصافات آية ٤٠ ـ ٤٧ .
(٣) سورة الكهف آية ٣٠ ـ ٣١ .

فهؤلاء المؤمنون فى جنات يقيمون فيها منعمين أبدا تنساب خلالها الانهار وهم على أبهى زينة متحلون بالذهب ويلبسون الثياب الخضر من الحرير على إختلاف أنواعه متكئين فيها على سرر بين الوسائد والستائر نعم الثواب ينعمون به وحسنت الجنة دار مقام وراحة . .

(مساكن الجنة وغرفها)

قال الله تعالى **﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾**(١) . .

والمراد بالمساكن الطيبة أى التى يطيب لساكنها المقام فيها لاحتوائها على ما يطلبون من الأثاث والرياش والزينة قال تعالى **﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار وعد الله لايخلف الله الميعاد﴾**(٢) . .

ولو أرادنا أن نستقصى ما أعد الله لعباده الصالحين فى الجنة من الحور الغين والولدان والنعيم المقيم والنعيم الروحى من لقائه ورؤيته ورضوانه لطال بنا المقام ولكن نكتفى بما أوردناه وفى ذلك فليتنافس المتنافسون والزاهد فى الخير لاخير فيه نسأل الله التوفيق . .

---

(١) سورة التوبة آية ٧٢ .

(٢) سورة الزمر آية ٢٠ .

(الدرس الثانى والخمسين فى الجزاء على الأعمال السيئة)

بعـد ما بين الله بعض ما أعده لعباده المؤمنين فى الجنة جزاء من ربك عطاء حسابا بين عقاب المرء على ما يقترفه من آثام وهو النار وقد أطلق القرآن على النار سبعـة أسـماء وهى جهنم والهاوية والجحيم وسقر والسعير ولظى والحطمة وأكثر الأسماء شيوعا فى القرآن هى جهنم .

(صورة عذاب الجحيم)

وصف الله جهنم فى عشرات الأيات ووصف وقودها ونيرانها المتأججة ووصف طعامها وشرابها ووصف عذابها بما يدخل الرعب فى قلوب المجرمين وبها يخوف الله به كل متكبر جبار ليرتدع عما هو فيه ووصف وقودها فقال ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد**﴾(١) . .

ففى هذه الآية يعطينا الله صورة عن جهنم التى توقد بالناس كما توقد بالحجارة ولكنها لاتقف عند هذا الحد بل فيها ملائكة أشداء يزيدون فى عذاب الكافرين بإذن الله وهذه نيرانها المتأججة التى لاتشبع ﴿**يوم نقول لجهنم هل امتلأتى وتقول هل من مزيد**﴾(٢) . .

وهذه جهنم التى ترى المجرمين من بعيد فتتغيظ وتفور ﴿**إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيراً**﴾(٣) . .

---

(١) سورة التحريم آية ٦ .

(٢) سورة ق آية ٣٠.

(٣) سورة الفرقان آية ١٢ .

قال تعالى ﴿**فالذين كفـروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق**﴾(١) . .

فهذه ثياب من نار تقطع وتفصل للكفار وهذا الماء الحار يصب فوق الرؤوس يصهر به ما فى البطون والجلود ولتعذيبهم سياط من حديد يضربون بها فيهم الكافر بالخـروج من هذا العذاب فيردونه إليه بعنف وهذا هو طعام جهنم ﴿**إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم**﴾(٢) . .

فشجرة الزقوم المشهورة بمرارتها هى طعام الأثيم فى جهنم وهذا االطعام الذى يشبه عكار الزيت يغلى فى بطون الكفار ويكون كالماء الحار فى غليانه وبعد ذلك يقال للزبانية فى جهنم ادفعوا هذا المجرم إلى وسط جهنم لينال قطعة سن عذابها ثم صبوا فوق رأسه من الماء الساخن زيادة فى النكاية والاستهزاء به جزاء وفاقا ﴿**إنهم كانوا لايرجون حسابا وكذبوا بأياتنا كذابا وكل شىء أحصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا**﴾(٣) . .

ويقول سبحانه فى وصف العذاب يوم القيامة ﴿**وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ**﴾(٤) .

والمعنى والله أعلم أى هلك كل متكبر مجانب الحق فعاقبته جهنم التى ليس له فيها شراب إلا القيح يتحساه أى يتجرعه جرعة بعد جرعة ولايستطيع أن يبتلعه من شدة كراهته وتحيط به أسباب هذا الموت من شدة هذا العذاب عذاب آخر

(١) سورة الحج آية ١٩ ـ ٢٢ .

(٢) سورة الدخان آية ٤٣ ـ ٤٩ .

(٣) سورة النبأ آية ٢٦ ـ ٣٠ .

(٤) سورة ابراهيم آية ١٥ ـ ١٧ .

غليظ ولكنه من نوع آخر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. . أيها المسلم انتبه لنفسك يرحمك الله وتصور شدة هذا العذاب فى الأخرة تقشعر منه الأبدان والأرواح فهـو عذاب لاتتحمله النفس ولاتـطيقه فاحرى بنا نحن المسلمون أن نسعى إلى اجتنابه بطاعة أوامر الله وإجتناب سخطه. أيها المسلم إن الأيات فى وصف ما يلاقيه الكفار فى ذلك اليوم فى نار جهنم كثيرة جدا ولكن الناظر فى وصف اليوم الأخر وما اكتنفه من أسرار ما وراء الطبيعة لايتصور أن يكون ذلك من عقل بشرى ولا من عند محمد عليه السلام مهما كان واسع الخيال لايمكنه أن يأتى بهذه الأخبار المدعومة بالبراهين العقلية المقنعة التى يستشعر منها الإنسان بأنها ليست من كلام البشر بل هى وحى منزل من الله على رسوله محمد ﷺ ليظهر للناس بعض أسرار العالم الآخر للاستعداد له بالعمل الصالح والله الهادى إلى سواء السبيل. .

(الدرس الثالث والخمسون فى عرض بعض الأعمال التى تعود بصاحبها إلى عذاب الجحيم وتبعده من صفات أهل الجنة)

أيها المسلم إن من ذلك الانقياد لهوى النفس وشهواتها **﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾**

أخى المسلم هناك أمور تجتاح الإنسان فى معترك الحياة من رغبات وشهوات يؤثر فيها مصلحته الخاصة ولو كان فيها أضرار بالغير ولا يهمه أن تكون أعماله سيئة ما دامت تشبع رغباته وأهواءه والإسلام أهم أهدافه مجابهة أهواء الإنسان والحيلولة بينه وبين الانقياد لها إذاً فهوى النفس يوردها المهالك اسمع قوله تعالى **﴿فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى﴾** (١) . .

وهدف الإسلام الاعتدال فى كل شىء وإذا وقع الإنسان فى حبال الهوى والشهوات تشوش عليه النظام الطبيعى وفسد واتجهت جميع قواه إلى غاية واحدة ألا وهى الهوى لذلك نرى القرآن الكريم وصف الهوى بأنه مفسد للنظام الطبيعى لهذه الحياة الذى يجب أن يسود فيها الحق فقال تعالى **﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السمٰوات والأرض ومن فيهن﴾** (٢) . .

أخى المسلم إن أعظم أضرار الهوى هو ما يجىء عن طريق الحكام الذين من واجبهم إقامة العدل فى الأرض فإنهم إذا انقادوا لأهوائهم فحابوا الأقوياء وجاروا على الضعفاء فإنه يكون من آثر ذلك فساد فى الأرض لايلبث أن تظهر بوادره

---

(١) سورة النازعات آية ٣٧ ـ ٤١ .

(٢) سورة المؤمنون آية ٧١ .

بثورات تورث الخراب كما حصل فى كثير من أدوار التاريخ ولهذا جاء فى القرآن تعليمات لنا بها خاطب الله به نبيه داود بقوله ﴿**ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب**﴾(١) . .

أخى المسلم إن اتباع الهوى ليصرفنا عن حقائق هذه الحياة ويرى بعض الباحثين أنه للوصول إلى الحق يجب التخلص من أربعة أوهام تسد علينا سبيل الحقيقة منها بل أهمها أوهام الجنس وهذه الأوهام تدخل فيها الأخطار التى انطبع عليها العقل تقليدا لمن تقدمونا حتى إنه ليهون على المرء أن يجانب الحق أو يرفضه كليا مع ترك العقيدة وذلك من جراء رأيا رسخ فى ذهنه بفعل الزمن والوراثه لهذا ترى القرآن عندما حاج اليهود وأمرهم باتباع رسالة محمد عليه السلام وما جاء به من الحق بين أن عدم استجابتهم لدعوة الإسلام إنما هى أهواء نفوسهم التى تؤثر القديم والانطباع على التقليد الأعمى لمن سبقوهم قال الله تعالى ﴿ **فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لايهدى القوم الظالمين**﴾(٢) . .

والحق أن أكثر ما يوقع فى اتباع الهوى فى هذه الحياة هو سبب الضعف فى النفوس ونقص فى المعرفة فالهوى يملك على الإنسان عقله ولا يتذكر ولا يفكر كغيره من الناس بل تحوم نفسه حول نقطة واحدة وحب الشىء يقوى الانتباه إليه فلا يفكر إلا فيه ولهذا كان منطق الهوى مختلفا جدا عن منطق العقل فالمقدمات فى منطق العقل تولد إنتاجه ولكنها فى منطق العواطف لاتتوالد منها لهذا وصف القرآن أثر الهوى فى الإنسان بأنه يضل الإنسان بغير علم قال الله تعالى ﴿**بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم**﴾(٣) . .

---

(١) سورة ص آية ٢٦ .

(٢) سورة القصص آية ٥٠ .

(٣) سورة الروم آية ٢٩ .

وقال أيضا ﴿**وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم**﴾(١) . .

ولكن القرآن يصف العلاج للقضاء على هوى النفس وذلك بالتوجه الكلى إلى الله والامتناع عن مخالفة أمره قال تعالى ﴿**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى**﴾(٢) . .

وهذه المراقبة لله مع جهاد النفس كفيلة بأن لاتخرجنا عن طريق الحق وخصوصا إذا كان هذا الجهاد النفسى وجدانى وطمعا فى رضى الله ونيل مثوبته والله أعلم»

---

(١) سورة الانعام آية ١١٩ .

(٢) سورة النازعات آية ٤١ .

(الدرس الرابع والخمسون فى ذم الكبرياء)

أيها المسلم احذر التكبر والتجبر والتفاخر على عباد الله فإنك من منطقة قذرة وفى جوفك تحمل العذرة وآخرك جيفة قذرة والكبرياء خصلة رذيلة من الرذائل الاجتماعية تغرس الفرقة بين الأفراد فتقضى على التعاون والمحبة بينهم والكبرياء لاتصرفنا عن محبة بعضنا لبعض فقط بل تجعل إصلاحنا الأدبى ممقوتا وذلك بتعامى المتكبر عن نقائص نفسه وعيوبه وتقدير نفسه فوق قدرها وصم أذنيه عن سماع كل حديث يرفع من حاله سواء حديث المدح والتملق من مادحيه لأن من أعجبته نفسه يأبى أن يسمع النصيحة من غيره فيكون ذلك حائل بينه وبين الاستقامة والاستفادة من علم العلماء واقتباس الفضيلة من الفضلاء فينزل إلى هوة من الجهل والضلال لهذا كان من سنة الله أن صرف قلوب المتكبرين عن سماع ما أنزل على رسوله من البيان والهدى لأن هؤلاء المتكبرين كتب الله عليهم الضلالة التى تؤدى بهم إلى غضبه تعالى وذلك من جزاء كبريائهم قال الله تعالى **﴿سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾** (١)

والقرآن يخبرنا أن المتكبرين كانوا أعصى الناس على الدعوة الإسلامية لهذا يقول الله عز وجل عن قوم نبيه صالح **﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذى آمنتم به كافرون﴾**(٢) . .

---

(١) سورة الاعراف آية ١٤٦ .

(٢) سورة الاعراف آية ٧٥ ـ ٧٧ .

واخبرن عن قوم نبيه شعيب ﴿**قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودُنَّ في ملتنا**﴾(١). .

وهؤلاء قوم عاد استكبروا عن هداية الله فكان جزاؤهم العذاب الأليم فى الدنيا والآخرة ﴿**فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون**﴾(٢). .
لهذا توعد الله المتكبرين بالعذاب الأليم فى الأخرة ﴿**أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين**﴾(٣). .

ولنتساءل هنا بماذا يفتخر المتكبر هل هو مفتخر بملاحته وقوته إن كان كذلك فإن الجمال والقوة تزول بأقل مرض يذهب بجماله ويضعف قوته وفى كل يوم يفعل الزمان فعله بجسده إلى أن يتحول من الشباب إلى الضعف والهرم. وإن تباهى بماله وغناه فإن الذى وهبه الغنى قادر على أن يسلبه إياه حين يراه متطاولا به على عباده ثم ليعلم المسكين أن الموت لايفرق بين الغنى والفقير بأن يأخذ الفقير بقوة وشدة ويأخذ الغنى برأفة ورحمة بل إن مدار ذلك على الأعمال والنيات كذلك ليعلم المتكبر أنه سيترك ما يملك فى هذه الدنيا إلى غيره وأنه لايرافقه من ذلك شىء يستأنس به سوى عمله فإنه هو أنيسه فى قبره إلى يوم الحساب ولهذا جاءت الوصايا القرآنية تنهى عن الاختيال قال الله تعالى ﴿**ولا تمشى فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا**﴾(٤). .
أى لا تمشى متبخترا كمشى الجبارين فإنك لن تخرق الأرض بمشيتك وشدة وطئك عليها مهما شمخت بأنفك فلن تبلغ الجبال ارتفاعا وطولا ويقول تعالى فى

(١) سورة الاعراف آية ٨٨.
(٢) سورة فصلت آية ١٥ - ١٦.
(٣) سورة الزمر آية ٦٠.
(٤) سورة الاسراء آية ٣٧.

النهى عن المنكر ﴿**ولاتصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لايحب كل مختال فخور**﴾(١) . .

أى لاتعرض عنهم بواجهك إذا كلمتهم أو كلموك احتقارا لهم واستكبارا عليهم هذا هو التكبر الذى كرهه الله ونهى عنه لأنه من الصفات الذميمة التى تفسد المجتمع الإنسانى وتورث البغضاء بينهم فما أحرى بنا أيها المسلمون كأمرين ومصلحين أن نحارب هذه الخصال على المجتمع الإسلامى لكى يستبدلونها بالخصال الحميدة ويتعاونوا على البر والتقوى ويتواصوا بالحق والصبر فإن ذلك مما يزرع المحبة والألفة بينهم ويقربهم إلى الله زلفى وبالله التوفيق . .

---

(١) سورة لقمان آية ١٨ .

(الدرس الخامس والخمسون في الخمر والقمار)

قال الله تعـالى فى تحريم الخمر والقمار ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**﴾(١) . .

أيهـا المسلم إشتملت هاتان الآيتان على مواعظ جليلة فقد سمى الله الخمر والقمار رجسا من عمل الشيطان والرجس يدل على منتهى الوقائحه والقبح والخبث وذلك لما ينشأ عنهما من الشرور والفساد وجعل اجتنابهما سببا للفلاح فى هذه الدنيا والآخرة وجعلهما مثار للعداوة والبغضاء وهما أثر المفاسد الدنيوية وأخيرا جعلهما صادين عن ذكر الله وعن الصلاة التى هى عماد الدين وفى ما يلى بيان ذلك مع عرض أضرار كل من الخمر والقمار على حده .

١ ـ مضار الخمر كثيرة لاتحصى فهى تؤدى بالشارب إلى إضعاف ضميره وذهاب حيائه فإن ذلك يدفع بشارب الخمر إلى نبذ الأخلاق الجميلة ويقوده إلى فعل كل منكر أو قبيح وإن كثيرا من حوادث الزنا والخيانة الزوجية تقع تحت سلطان الخمر مما يؤدى إلى خراب البيوت والندم الطويل كما أن الواقع الملموس أثبت أن كثيرا من حوادث الشغب وما تؤدى إليه من ارتكاب الجرائم تحدث فى مواطن شرب الخمر فى الحـانات وغيرها وقد يدفع البعض عن الخمرة فيقول إن الآلام النفسية وقد اشتدت والمحن قد كثرت ولا دواء لها إلا الخمر والجواب على ذلك أن المحن لايقضى عليها بالخمر بل إن الدواء النافع لذلك ذكر الله تعالى والالتجاء إليه وحده فى تلك المحن وكذلك تقوية الوجدان الخلقى وتربية الإنسان على ضبط النفس أما

(١) سورة المائدة آية ٩٠ ـ ٩١ .

أخذ المريض ربما بتلك الأمراض فإن شرب الخمر لايخفف من آلامه بل يجدد له أمراض ربما تكون مستعصية وربما سبب له ضعفا لايستطيع معه أن يملك زمام نفسه مما يؤدى به إلى الانهيار العصبى أما إدمان المسكرات فيسير فى الحياة مسيرين ينتحر ببطء فيقضى على نشاطه وجميع مواهبه العقلية وأما أضراره الاجتماعية فإنه سبب لوقوع العداوة والبغضاء بين الأصدقاء وغيرهم ذلك أن شارب الخمر يسكر وإذا سكر فقد العقل الذى يمنعه من الأقوال والأعمال القبيحة فيسىء إلى الناس وهـو فى سكره وشدة غضبه وهولا يشعر بذلك فيكون سببا للمشاجرة والخصام وكذلك أنه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة لأن السكران فاقد العقل والوعى وفاقد العقل والوعى لايذكر ربه ولايثنى عليه بنعمة ولايعبده حيث أن العبادة لاتقوم إلا على العقل ومن هنا كان الإسلام الذى حرم الخمر وشرع العقوبة لشاربه أسمى وأزكى من غيره من الأديان التى لاتحرم الخمر ولم تشرع العقوبة لمن يتناوله فالدين من أول واجبـاته دعوة الإنسان لعبادة الله خالقه وليس هناك عبادة لله إذا سكر الإنسان وزال عقله فتحريم الخمر فى الإسلام مع بيان ضرره هى مفخرة له ودليل على أنه دين روحى يقوم تشريعه على تهذيب النفوس والسمو بها عن شرور المادة وسفاسف الأمور ورذائلها. .

(مضـار القمـار)

أيها المسلم أول ما يطالعك من مضار القمار هو ما يحصل منه من ضرر المال للمقامر وقد شوهد الكثير من ذلك وهنا تسبت ما ينشأ عنه من الضرر بين أفراد الأمة فهو مجلبه للعداوة حيث أن ربح المقامر لايقوم إلا على خسارة الغير إذا فهو مغتصب مال أخيه على مرآى منه وكلما أوغل الإنسان فى الخسارة اشتد حنقه على الرابح الذى يسلبه ماله فى لحظة قليلة هذا المال الذى بذل فى جمعه عصارة جهده وعقله وكثيرا ما يتهادى لاعب القمار فى الخسران حتى يفقد كل ماله فيؤدى به ذلك إلى عدم السيطرة على نفسه فينتحر أو يتعرض للرابح بالشتم ويضمر له كل شر وربما انتهى ذلك إلى الشجار كما هو مشاهد عند بعض المقامرين كما أن القمار يصد

عن ذكر الله وعن الصلاة فالمقامر تتوجه جميع قواه العقلية إلى اللعب الذى يرجو منه الربح ويخشى من الخسارة ويستغرق فى ذلك زمنا طويلا ينسيه خالقه ويلهيه عن عبادته ويشغله عن الصلاة التى تسمو بروحه وليس هناك عمل من الأعمال يشغل الفكر ويصرفه عن كل ما سواه مثل القمار الذى كان هذا الاستنتاج الذى نطق به القرآن آية فى دقة الوصف وصدق الواقع فتحريم القمار يعطينا برهانا على أن الاسلام دين روحى يحرم كل ما يضر الإنسان ويلهيه عن عبادة خالقه ومولاه وهذا أمر لايخفى على من كان له عقل أو ألقى السمع وهو شهيد . .

(الدرس السادس والخمسون في الكذب)

أيها المسلم إن الكذب آسى الرذائل وبه يتصدع بنيان المجتمع ويختل سير الأمور ويسقط صاحبه من عيون الناس فلا يصدقونه ولايثقون به فى قوله ولا فى عمله وأكثر الناس فى الحياة أصحاب الحرف وصاحب الحرفة محتاج إلى ثقة الناس فيه وفى بيعه وشرائه وجميع أعماله والكذب يهدم هذه الثقة كلها لهذا كتب الله على الكاذبين الضلالة بقوله تعالى ﴿**إن الله لايهدى من هو مسرف كذاب**﴾(١) . .
وقال أيضا ﴿**إن الله لايهدى من هو كاذب كفار**﴾(٢) . .

وتوعد الكاذبين بالعذاب الأليم يوم القيامة ﴿**ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم**﴾(٣) . .

فالكذب ليس مبغضاً في جميع الظروف على الأطلاق فإن هناك ظروف يكون الكذب فيها أجدى من الصدق وأنفع للإنسانية للإصلاح بين الناس لذلك يقول الرسول ﷺ (ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا) كذلك الخيانة فإنها أشر أنواع الكذب التى يتصف بها المرء وينتقل ضررها مباشرة إلى سائر أفراد الأمة وما انتشرت هذه الصفة فى قوم إلا كانت نذير الخراب والفوضى ولهذا نهى الله المؤمنين عن الخيانة فقال ﴿**يا أيها الذين أمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون**﴾(٤) . .

وأخبر الله أنه يبغضهم ﴿**إن الله لايحب من كان خوانا أثيما**﴾(٥) . .

(١) سورة غافر آية٢٨ .
(٢) سورة الزمر اية ٣.
(٣) سورة النحل آية ١١٦ - ١١٧
(٤) سورة الأنفال آية ٢٧ .
(٥) سورة النساء آية ١٠٧ .

فالـواجب على الـذين ينشدون بناء مجتمع سليم أن يوجهوا أكبر سعيهم إلى محاربة هذه الرذيلة ليحصلوا على السلام فى حياتهم والله أعلم . .

(خلـف الوعـد)

أيها المسلم إن خلف الوعد من ضروب الكذب المكروهة وهو صفة تدل على أن صاحبها ذو شخصية ضعيفة لايرجى منها خير ولايكون موضع ثقة وهى تنزع المودة من بين الأفراد ويحصل منها كثير من الضرر ومن تضييع وقت الغير سدى أو إيجاد أمل كاذب عنده أونحو ذلك لهذا وصف الرسول ﷺ خلف الوعد بأنها من صفات المنافقين فقال ﴿**آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا أوعد أخلف وإذا ائتمن خان**﴾ . .

(شهادة الـزور)

أيضـا إن من أنـواع الكـذب شهـادة الزور التى يترتب عليها أقبح الشرور الاجتـماعية وأخطر المشاكل التى تؤدى بالأرواح وتؤدى إلى ضياع الحقوق ونشر الفـوضى لهذا قارن الإسـلام إثمهـا بأثم الإشراك بالله الذى هو أشر الإثم فى الإسلام قال الله تعالى ﴿**فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور**﴾(١) . .

ووصف الله تعالى عباده المقربين بقوله ﴿**والذين لايشهدون الزور**﴾(٢) . .

(البهتـان)

والبهتان أيضا من ضروب الكذب الذى حرمه الله والبهتان يقصد به فى الغالب النيل من الإنسان فى شرفه أو عمله وكثيرا ما يوجه لمحاربة ذوى الشرف والاستقامة وهو يسبب كثيرا من الأضرار والبلايا ولهذا حذر الاسلام منه بقوله ﴿**ياأيها الذين**

---

(١) سورة الحج آية ٣٠.

(٢) سورة القرقان آية ٧٢.

آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾(١) . .

ففى هذه الآية يرشد الله المؤمنين ويحذرهم أن يأخذوا بالإخبار قبل الكشف عنها والتثبيت فيها ومن سيرت حاملها لئلا يصيبوا أقواما بسبب الجهل فيصبحوا بعد ذلك نادمين آسفين، حين لاينفع الندم ولا حول ولا قوة إلا بالله . .

(النميمة من ضروب الكذب)

والنميمة أيضا من ضروب الكذب وهى تدل على أن صاحبها ذو نفسية مريضة لاهم له إلا السعاية بين الناس لتوريث العداوة بينهم وإن أكبر سلاح يحارب به النمام هو عدم الاستماع لحديثه وهذا ما يأمرنا به الله عز وجل ﴿**ولاتطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم**﴾ (٢) . .

فالمشاء بنميم هوناقل حديث السوء من قوم إلى آخرين لأنه يفسد بينهم ومثل هذا خبيث المسعى قد نهى الله عن تصديقه وطاعته لأنه لاينمى خيرا ولايأتى بصلاح إنما أفادته الثرور وإيثارة الفتن فما أحرى بنا أيها المسلمون أن ننبذ أهل النميمة ولا نصدق أقوالهم ولا نركن إليهم والله الهادى إلى سواء السبيل . .

(احترام الغير)

أيها المسلم إن من أهداف القرآن إحترام الغير لحفظ وحدة الجماعة ونشر المودة بينهم والقضاء على أسباب الفرقة والعداوة ولهذا يخاطب الله المؤمنين بقوله ﴿**يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون**﴾ (٣) . .

---

(١) سورة الحجرات آية ٦ .

(٢) سورة القلم آية ١٠ ـ ١١

(٣) سورة الحجرات آية ١٢ .

إشتملت هذه الآية على هذه المواعظ التى منها أن الله يأمر المؤمنين بأن يحترموا غيرهم ويحافظوا على سمعتهم وكرامتهم وشعورهم فلايستهزأوا بأى فرد من الناس ولا يحقروه بالقول ولا بالإشارة باليد أو اللسان أو نحوهما لمجرد رؤيته رث الهيئه فقيرا أو ذا عاهة سواء كان المستهزأ به من الرجاء أو من النساء إذ ربما كان المذموم خيرا من الذى يذمه فيكون الساخر قد ظلم نفسه بتحقير من وقره الله فضلا عن أن المستهزأ به لن يسكت راضيا بل سوف يحمله ذلك على أن يفتش عن عيوب المستهزىء وينشرها وإن لم يجد فيه ما يهيبه اختلف له معايب ينسبها إليه ويلبسها ثوب الصدق فيتناقلها الناس وفى ذلك ما فيه من الضرر بالمستهزىء نفسه فإذا علمنا ذلك أدركنا أن السخرية تورث البغضاء فى القلوب وتقطع روابط المودة بين الأفراد لذلك نهى الله أن يذكر أحد معايب غيره فى حضرته والطعن فى شخصه لأن ذلك داعية لإثارة العداوة بين أفراد المجتمع وقد ذكر الله فى هذه الآية أن المؤمنين كنفس واحدة لايليق بهم أن يطعن بعضهم في بعضا فمتى عاب الإنسان أخاه فكأنما عاب نفسه وهذا معنى قوله تعالى ﴿**ولاتلمزوا أنفسكم**﴾ (١)..

وأخيرا نهى الله أن يدعو أحد أخاه بلقب يكرهه ولا فرق أن يكون اللقب فى الصورة أو صورة أبيه أو أمه أو غيرهم ممن له صلة به لأن ذلك يورث الحقد فى الصدور ثم بين الله أن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب موجبة للفسوق والخروج عن طاعة الله فلا يليق بالمؤمن أن يطلق عليه كلمة فاسق بعد أن عرف بالإيمان ثم بين الله أن من لم يرجع عن إقتراف هذه الخصال الذميمة فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم لأنهم عرضوها لسخط الله وعذابه وتركوا أوامره وأرتكبوا نهيه بذلك استوجبوا سخط الله وأليم عقابه ومن يقوم لسخط الله إلا من سفه نفسه والعياذ بالله..

---

(١) سورة الحجرات آية ١١.

(الظـن السوء والغيبة)

أيها المسلم قد جاء فى القرآن فى الدعوة إلى احترام الناس قوله تعالى ﴿**يا أيها الـذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم**﴾(١) . .

إشتملت هذه الآية على جملة مواعظ وهى - النهى عن الظن السوء بالمؤمنين لأنه مدعاة إلى التحقير وإلى إيقاع الضرر بالمظنون به وخدش عرضه ولهذا حذر الله منه بقوله تعالى ﴿**إن بعض الظن إثم**﴾ . ويشترط فى حرمة الظن أن يكون المظنون بهم ممن عرف عنهم الصلاح والأمانة أما من يتعاطون الخبائث والمنكرات فلا يحرم الظن بهم ثم نهى الله عن التجسس على المؤمنين والبحث عما استتر من أمورهم لأن ذلك تعرض من المتجسس لما لايعنيه ومالايفيده وهذا لايثمر إلا الضغينة أما ما تفعله الحكومة من بث العيون لتتبع خطوات المفسدين الداعين إلى الفتنة فهو لايشمله النهى المنصوص عليه فى الآية القرآنية السابقة لأن النهى غايته كل ما يثير العداوة بين الناس وأخيرا نهى الله سبحانه عن الغيبة وهى أن يذكر الإنسان أخاه المسلم فى غيبته بما يكره سواء كان الذى يصرح به صراحة أو كتابة أم إشارة أم رمزا وسواء كان ذلك متعلق بدينه أم بدنياه أو بخلقه أو خلقته لأن ذلك إثارة للعداوة بين الناس وقد نفر الإسلام من الغيبة هذه حتى جعل المغتاب كأنه يأكل لحم أخيه المؤمن ميتا فقال تعالى ﴿**أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخي ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم**﴾أى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فإن كنتم لاتحبون ذلـك بل تكـرهـونـه فكذلك فاكرهوا أن تغتابوه فى حياته أما المجاهر بالفسوق والداخل فى مواطن الريبة فلا يحرم ذكر حاله إذا قصد التغير من عمله والتحذير من سلوكه ويختم الله الآية بالدعوة إلى تقواه فإنه يتوب على من يمتنع عن هذه الصفات المؤذية الداعية إلى إثارة العداوة والبغضاءوالفتن .جنبنا الله وإياكم الوقوع فيها إنه ولى التوفيق وهو القادر عليه . .

(١) سورة الحجرات آية ١٢ .

(الدرس السابع والخمسون فى الغضب)

أيها المسلم إن الغضب من الرذائل الخلقية التى إذا تحكمت فى نفوس الناس وفى مجتمعاتهم كان لها أسوأ الأثر فى حياتهم ولها نتائج بشعة فى تمزيق روابط المودة بينهم فالإنسـان أثنـاء إحتدام غيظه يفقد الرشد والصواب ويصبح وحشا ضاراً لايدرى ما يفعل ويظن أنه بذالك يظهر بمظهر المحترم لنفسه المحافظ على كرامتها وهـو إنـما يظهر بمظهر الطائش الأحمق وهو لاشك أنه خاسر لأنه الفضب يعتبر شروعـا فى الاعتداء بينما الحلم يعتبر دليلا على الفطنة والرجاحة العقلية كما أن الانفعال الذى يثيره الغضب ضار بصحة الإنسان من وجوه كثيرة كما أثبت الطب لذلـك جعـل الإسـلام من صفـات المتقـين الذين يستحقون رضوان الله عدم الاستسلام للغضب قال الله تعالى فى وصفهم ﴿**والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**﴾(١) . .

فالغيظ هو أشد الغضب أثرا كذلك إن القرآن لايدعو إلى كظم الغيظ فقط بل إنـه دعا إلى العفو عن المعتدى الذى أثار الغضب ومقابلته بالإحسان فالإنسان لايثـير غضبه إلا عند الاعتداء عليه أو إنتقاص حقه من الغير وذلك أى ضبط النفس والعفو عن المعتدى أرفع منزلة من السمو الخلقى التى يجب أن يسلكها الإنسان عند فوران غضبه فالإنسان فى حالة الغضب يكون بعيدا عن الحق وحاكم غير منصف لا يرى فى حالـة غضبه صوابا لذلك تأتى أحكامه بعيدة عن الحق لذلك جعل الإسلام العفو من صفات المؤمنين والعفو عند المقدره قال الله تعالى ﴿**وإذا ما غضبوا هم يغفرون**﴾(٢) . .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٤ .

(٢) سورة الشورى آية ٣٧ .

والـرسـول محمد ﷺ عد مجاهدة النفس وامتلاكها عند الغضب من أمارات البطولة فى قوله ﴿**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب**﴾ (١). .

والمعنى والله أعلم ليس القوى الذى يصرع خصمه بل القوى الذى يسيطر على نفسـه عنـد الغضب فعلى الذين ينشدون الرقى الأدبى أن يتعودوا على امتلاك أنفسهم ويضبـطوا كل نزواتهـا وانفعـالاتها الطارئة التى ينطق بها الفم قبل أن يمحصها العقل فإنهم أحرى بذلك أن يجتنوا مشاكل لاحصر لها والله أعلم . .

---

(١) رواه مسلم .

(الدرس الثامن والخمسون فى الحسد)

أيها المسلم اعلم رحمك الله أن الحسد من الرذائل الخلقية وهو من أقبح الخصال التى تصيب الإنسان وتنكد عيشه وأن الحاسد هو الذى يتمنى الشقاء لغيره ويشقى نفسه أيضا بهذا الحسد فهو بدلا من أن يستمد السرور مما أوتى من الخير تراه يستمد العذاب من الخير الذى أوتيه وهذه أكبر فائدة يجنيها الحاسد لأنه عارض قسمة الله عز وجل وفى عصرنا الحاضر يقوم الحاسد بدور خطير ذو أهمية بالغة فالفقير يحسد الغنى والنساء يحسدن الرجال والقبيحات يحسدن الجميلات وهكذا مما يجعل بعض الأمة يكره بعضها الآخر ويتمنون لهم الشقاء فلا يتورع الحاسد أن يدس للرجل الناجح حتى يشوه عليه سمعته لأجل أن يحل محله أو يجعل منه إنسانا فاشلا مثله لأن الحسود إنسان فقد الثقة بنفسه واستشعر العجز عن تحقيق غاياته لذلك نهى القرآن عن الحسد بقوله تعالى **﴿ولاتتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله﴾**(١) . .

قد نهى الله فى هذه الآية عن التمنى لما أوتى الغير وهو التعرض له بالقلب حسدا ثم أخبر الله المؤمنين بأن ما يكتسبه الإنسان هو نتيجة عمله وسعيه فعلى المؤمنين أن يعتمدوا على جهدهم ومواهبهم بعد الله لنيل ما يرغبون فيه وما يعجزون عنه فليسألوا الله أن يعطيهم من فضله وإنعامه ولا يسألوا زوال نعمة أنعمها الله على غيرهم لأن ذلك اعتراضا على قسمة الله (والله يختص برحمته من يشاء) (٢)

(١) سورة النساء آية ٣٢ .

(٢) سورة البقرة آية ١٠٥

وأمر الله فى مواضع أخرى بالاستعاذة به من الحاسد **﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾** (١)

والحاسد يستحق الرثاء والشفقة مما يلاقيه من ألم فما أحرى بنا أن نقابل الحاسدين بالعفو عنهم وعدم مؤاخذتهم على حسدهم الذى لايضرون به إلا أنفسهم وهذا ما أمر الله به فى قوله تعالى **﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره﴾** (٢)

هناك وسائل شتى للتخلص من الحسد منها أن يقنع الإنسان بما يصادفه فى حياته ويؤدى واجبه مع عدم المقارنة بين حاله وحال من هو أسعد منه حظا بل ينظر إلى من هو دونه ليدرك فضل الله وهذا ما يقوله الرسول ﷺ (إذا رأى بعضكم من هو أرفع منه فى المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل هو عليه) (٣)

(اللغو)

أيها المسلم إنك تجد فى الإسلام عاملا قويا للسهو الروحى والنجاح فى هذه الحياة وهو ما دعا إليه القرآن من الإعراض عن الشر والهزل والباطل من القول والفعل وكل ما يوجب ذمه وهو ما سماه الله لغوا وقد جاء فى القرآن قوله تعالى **﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون﴾** (٤) . . .

وجاء فى قاموس لسان العرب فى مادة اللغو أقواله اللغو والغاء : أى السقط وما لا يعتد به من الكلام وغيره ولا يتحصل منه فائدة ولا نفع وقد تكرر فى القرآن النهى عن اللغو بصور شتى قال الله تعالى فى وصف عبادة المقربين **﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغى الجاهلين﴾** (٥)

---

(١) سورة الفلق آية ٥
(٢) سورة البقرة آية ١٠٩
(٣) رواه البخارى وبعض ال
(٤) سورة المؤمنون آية ١ـ٣
(٥) سورة القصص آية ٥٥

ويقول سبحانه فى وصفهم أيضا ﴿**وإذا مروا باللغو مروا كراما**﴾(١) . .

أى مرور معرضين عنه مترفعين بأنفسهم عن مشاركة أهل اللغو ويدخل فى معنى اللغو ما استحدثه الناس من صنوف اللهو الفاجر الذى لايهذب النفس ولا يرقى الشعور وذلك لاشتماله على كل ما يثير الشهوات ويفسد الخلق الإنسانى وإن من أسباب رقى الشعوب أعراضها عن اللغو وإنها لاتميل إلا إلى العمل المفيد المثمر بعكس الشعوب المختلفة التى كثر فى أفرادها اللغو والكلام الفاحش فى مخاطباتهم وتضيع الساعات الطوال بدون فائدة مجدية وقوله سلام عليكم أى توديع لكم ومتاركه لانبتغى الجاهلين أى لانريد مخالطتهم . .

الشراهة

أيها المسلم إعلم رحمك الله أنه كلما ضعفت رغبات الفرد الروحية إشتدت بطبيعة الحال رغباته المادية وتركزت غالبا فى شهوة الطعام ومن الملاحظ أن الاسراف فى شهوة الطعام يذكى الرغبة الجنسية ويؤدى بالإنسان إلى أن يعتبر الحياة متعة مادية فتضعف فيه الصفات الروحية من الإحسان والتضحية وإنكار الذات وتحل محلها الأنانية وقسوة القلب والاستكانة إلى الشرف وذلك يؤدى به إلى أن يصبح عضوا فاسدا فى المجتمع الإنسانى لايستفاد منه الإفادة التى ترفع من شأنه وترقى حاله ومن أجل هذا توجه وصايا القرآن إلى التحذير من الانقياد إلى رذيلة الشراهة ووصف صاحبها بأنه يكون مكروها من الله قال الله تعالى ﴿**كلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين**﴾(٢) . .

كما أن الشراهة تؤدى إلى تبلد الأذهان والانصراف عن تغذية العقل والروح بالمعارف التى يحتاجها ولايكون همهم الشره إلا التفكير فى أصناف الطعام والانهماك فى متع الحياة الرخيصة فيصرفه ذلك عن تزكية نفسه والسمو بها عن النقائص فينخلع

---

(١) سورة الفرقان آية ٧٢

(٢) سورة الاعراف آية ٣١.

عن إنسانيته ويصبح كالحيوان وهذه الصفة التى ينحدر إليهاالإنسان وصفها القرآن بأنها من صفات الكافرين الذين قال الله فى وصفهم ﴿**والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم**﴾(١) . .

هذه وصايا القرآن فى الاعتدال فى المأكل والمشرب لخدمة الناحية الروحية التى هى من أهم أهداف الاسلام . .

---

(١) سورة محمد آية ١٢ .

(الدرس التاسع والخمسون فى الدلائل العلمية على محبة الله)

أيها المسلم الإيمان بوجود الله فطرة فى النفس الإنسانية وهو شىء ضرورى يحصل للإنسان كثمرة من ثمرات مواهبه العقلية فمن الأشياء المتفق عليها أن كل شىء له علة توجده أو صانع يصنعه فإذا نظر الإنسان إلى الكون واستعرض ما فيه من الكائنات حصل له علم ضرورى بأن هذه الكائنات لم توجد صدفة بل لابد من موجد أول أوجدها.

(البرهان على وجود الله)

إعتقاد الأفراد والنوع الإنسانى بأسره فى الخالق إعتقادا اضطراريا قد نشأ قبل حدوث البراكين الدالة على وجوده ومهما صعد الانسان بذاكرته فى تاريخ طفولته فلا يستطيع أن يحدد الساعة التى حدثت فيها عقيدته بالخالق تلك العقيدة التى نشأت صامتة وصار لها أكبر الأثر فى حياته وقد حدثت هذه العقيدة فى أنفسنا ككل المدركات الرئيسية على غير علم منا ولا شك أنها تحت تأثير أغانى الأمومة والدروس التهذيبية الأولى وقد نمت تدريجيا وزادت نموا فى أدوار الحياة سواء بالدروس والبحث أو بالتغييرات التى تحدثها الأحوال على أرق عواطفنا وكل ما يحدث فى طفولة الإنسان يحدث نظيره فى طفولة االأم فالتاريخ يرينا الناس حاملين عقيدة فطرية على وجود الله خالقه وحافظه للعالم وحاكمه بين الناس بالعدل تكافىء على الحسنة والسيئة سواء فى هذه الدنيا أو فى الحياة المستقبلية وتطور الإنسان القديم فى مجال الاعتقاد بالله وأخيرا انتابته الشكوك فى الخالق لذلك أرسل الله أنبياءه تترى لإرشاد الناس إلى الطريق القويم وأيدهم بالمعجزات وهى الأفعال التى فوق مقدور البشر ليستجيب الناس لهم ويصدقونهم بأنهم مرسلون من عند الله

فيهتدون بعد الضلال الذى لازمهم أما العقل البشرى اليوم فلم تعد المعجزات تؤثر فيه ذلك التأثير الكلى كما كان بالأمس بل أصبح العقل والاقتناع هما السبيل الأول للفكر الإنسانى المعاصر ولهذا كان على الدين أن يبرز أدلة جديدة على وجود الخالق وقد كان من المطعن على الإسلام ما إدعاه الأب تيرى إذ قال حرم النبى صراحة أى إستخدم العقل فى المشكلة الدينية لأن وجود الله لايمكن البرهنة عليه والإجتهاد فيه وأن إنطلاق العقل ليس من التوجيهات الأساسية فى القرآن وهذا القول كما سيتبين لنا فيما بعد لايمت إلى الحقيقة بصلة ومن المدهش أن الإسلام إنفرد من بين الأديان باستخدام العقل فى الشئون الدينية وخصوصا فى الدلالة على الخالق والآيات القرآنية التى دعت إلى الإيمان بالله أرتكزت على العقل والفطرة الإنسانية وجعلتهما سبيل المؤمنين فى تدعيم إيمانهم وها نحن سنعرض هذه الأدلة ونترك للقارىء أن يحكم بنفسه على مدى قوتها وكيف راعى الإسلام تطور العقل البشرى الذى توصل إلى الكشف عن كثير من أسرار هذا الكون الذى يشهد بأن هناك خالقا حاكما قادرا على كل شىء أبدعه على هذه الصورة وهذه السنن البالغة نهاية الدقة والنظام . .

(هذا الكون آية على وجود الله)

أيها المسلم إن من أعظم الدلائل على وجود الله خلق هذا الكون فالأرض التى نعيش عليها والمجموعة الهائلة من النجوم التى تتراىءلنا تبهر النظر عند التأمل فيها فتقف النفس أمامها حائرة تسودها الرهبة ويسيطر عليها الأعجاب فتزداد إيمانا بعظمة الخالق والقرآن الكريم كثرت فيه الآيات التى تخاطب الإنسان بأن يوجه نظره إلى خلق هذا الكون من سمائه وأرضه وتدعوه إلى التفكير فى أسراره ليدعم إيمانه ويطرد فلول الشك من نفسه لذلك قال الله تعالى ﴿**قل أنظروا ماذا فى السموٰات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون**﴾(١) . .

---

(١) سورة يونس آية ١٠١ .

وقال سبحانه ﴿**أولم ينظروا فى ملكوت السمٰوات والأرض وما خلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد أقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون**﴾(١) . .

فالقرآن يصرح بأن الإلحاد إذا استمر بعد النظر فى هذا الكون وما فيه من حكم . وأسرار تدل على هذا التصميم وعلى وجود خالقه فليس هناك أدلة أقوى من هذا كما لايؤثر فى الملحدين أى دليل آخر فالمؤمنون هم الذين يستدلون بخلق هذا الكون على وجود الله كما جاء فى القرآن قوله تعالى ﴿**خلق الله السمٰوات والأرض بالحق إن فى ذلك لأية للمؤمنين**﴾(٢) . .

وجاء أيضا قوله تعالى ﴿**إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين**﴾(٣) . .

ولكن ما هذا الكون . يقول العلماء إن جميع ما فى الكون يشهد على وجود الله أفلا يحق لنا أمام هذا الكون وما تكشف لنا من حقائقه أن نؤمن إيمانا عن عقل وإقتناع بخالق هذا الكون ونردد ما جاء فى القرآن فى تقرير هذه الحقيقة ﴿**إن فى خلق السمٰوات والأرض وإختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السمٰوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا**﴾(٤) . .

(خلق الانسان آية على وجود الله)

أيها المسلم إن من الدلائل على وجود الله خلق الإنسان يقول الله تعالى فى ذلك ﴿**ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنشرون**﴾ (٥) . .

وقال تعالى ﴿**وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون**﴾(٦) . .

(١) سورة الأعراف آية ١٨٥ .
(٢) سورة العنكبوت آية ٤٤ .
(٣) سورة الجاثية آية ٣ .
(٤) سورة آل عمران آية ١٩٠ .
(٥) سورة الروم آية ٢٠ .
(٦) سور المؤمنين آية ٧٨ .

أما الدلائل على وجود الله فى الأنفس فهى أكثر من أن تحصى وكل ما اتسع نطاق العلم تضافرت الأدلة على أن هذا الإنسان البديع الصنع لابد أن له إله حكيم وأى ناحية من نواحى الإنسان ليست مثار دهشة وإعجاب أليست أطواره فى الرحم آية من آيات آلله - أليس أكله آية من آيات الله أليس نظام طعامه وشرابه وتحلل الطعام إلى عناصر مختلفة بموازين دقيقة ليذهب كل عنصر إلى حيث يؤدى وظيفته عدا العنصر الذى لايفيد فإنه يطرد إلى الخارج أليس هذا كله آية من آيات الله أليس نظام توزيع الدم من مكانه الرئيس وهو القلب إلى جميع أنحاء الجسم بواسطة الشرايين التى لايحصى عددها إلا الله ثم عودته إلى القلب بواسطة الأوردة ومرور الهواء الجديد الذى جلبه التنفس ليصلح الدم بعد الفساد فيغذى منه الجسم أليس ذلك آية من آيات الله هذا ما عدا السمع والبصر والنطق والإحساس للإنسان وما يعرض له من تذكر ونسيان وحزن وسرور وعلم وجهل ومحبة وبغض فإنها آيات كبرى على وجود الخالق المالك المتصرف عز وجل والدلائل على وجود الله وعلى وحدانيته كثيرة وفى كل شىء له آيات تدل على أنه واحد.

(الدرس الستون فى القرآن والأهتداء به)

أيها المسلم إن كتاب الله الكريم هو النور الإلهى والهدى الربانى والقانون السماوى والمعجزة الكبرى والحجة الدامغة والحكمة البالغة والموعظة الحسنة والرحمة المهداه والنعمة المسداه . .

﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين (١)
على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين ﴾ **﴿إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لايمسه إلا المطهرون﴾ (٢)**
﴿وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم﴾ (٣)

أيها المسلم إنه الكتاب الجامع لأسمى المبادىء وأقوم المناهج وخير النظم والحافل بكل ما يحتاج إليه البشر فهو يشرح للناس العقيدة الحقة ويبين ما لله من صفات الكمال ونعوت الجلال ومظاهر عظمته وأدلة قداسته وشمول علمه ونفوذ قدرته وتفرده بالخلق والإبداع ويعرض الطبيعة أمام العقل والفكر والنظر ليهتدى الإنسان بالتأمل فيها إلى الله خالق الكون ومبدعه (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أمّ ما يشركون أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله تعالى الله عما يشركون

---

(١) سورة الشعراء آية ١٩٢ ـ ١٩٣ .

(٢) سورة الواقعة آية ٧٧ ـ ٧٩ .

(٣) سورة الزخرف آية ٤ .

أمن يبـدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (١)

(ويعرض أسماء الله الحسنى وصفاته العليا)

اذ هى النوافذ التى تطل منها القلوب على معرفة الله قال تعالى ﴿**هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم**﴾ (٢) . .

وإذا كان العقل والقلب هما الوسيلتان للمعرفة بالمصدر الذى صدر عنه الكون فهما كذلك الوسيلتان لمعرفة المصير الذى ينتهى إليه الإنسان وأنه لم يخلق عبثا﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم**﴾ (٢) . .

وأنه لن يترك سدى . . قال تعالى : ﴿**أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى**﴾ (٣) . .

وكذلك يخبر القرآن أن لله ملائكة يدبرون الأمور ويتصرفون فى شئون العالم بإذن الله ولهم بالإنسان علاقة خاصة قال تعالى ﴿**وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون**﴾ (٤) . .

وقال تعالى : ﴿**له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله**﴾ ٥) . .

---

(١) سورة النمل آية٥٨-٦٤ .

(٢) سورة الحشر آية ٢٢-٢٤ .

(٣) سورة القيامة ٣٦-٤٠ .

(٤) سورة الانفطار ١٠-١٢ .

(٥) سورة الرعد آية١١ .

وهم مع ذلك لايخرجون عن مشيئة الله وإرادته **﴿ولايسبقونه بالقول وهم بأمره يعلمون﴾**(١) . .

وكما يوضح كتاب الله العقيدة ويبسطها بهذه السهوله وبهذا المنطق الذى تأبى العقول إلا أن تخضع له وتنزل على حكمه فهو يرسم للناس طريق العبادة من الصلاة والزكاة والصيام والحج والخشية والحب والذكر والفكر والدعاء والجهاد والاخلاص والتوكل والرجاء والتوبة والإنابة ليربطهم بالله فتتهذب نفوسهم وتقوى إرادتهم وتسموا أرواحهم إلى مدارج العز والكرامة ولتتجرد من ماديات هذه الحياة وتتجه إلى خالقها وبارئها لتستمد عنه النور والهدى وتستعين به على الإطلاع بأمانات الحياة **﴿قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾**(٢) . .

وهذه العبادات كلها سهلة لامشقة فيها ولا عسر **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾**(٣) . .

﴿وما جعل عليكم فى الدين من حرج﴾(٤) . .

﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾(٥) . .

كذلك أيها المسلم أفاض القرآن فى النواحى الأخلاقية والآداب العامة والخاصة والفضائل التى تنهض بالفرد وترقى الجماعة وألح فى الدعوة إليها وأحث عليها ليكتمل المجتمع الإنسانى ويصل إلى المنزلة التى يكون بها أهلا لخلافة الله فى الأرض **﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾**(٦) . .

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٧ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٦٢-١٦٣ .

(٣) سورة البقرة آية ١٨٥ .

(٤) سورة الحج آية ٧٨ .

(٥) سورة البقرة آية ١٤٣ .

(٦) سورة النساء آية٥٨ .

ويقول **﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾**(١) . .

﴿قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والأثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾(٢) . .

وبالاضافة إلى هذا يضيع النظام الذى يربط بين الإنسان وأخيه ويحدد الصلات بين الأفراد بعضهم ببعض فى التعاون وسائر المعلومات لدرء الخصومة ورفع النزاع ويشرع الشرائع الاجتماعية التى تنظم التشريع للأسرة كا الزواج والطلاق والوصية والمواريث والتشريع المدنى المتعلق بمعاملات كالبيع والشراء والرهن والإجارة والتشريع الجنائى المتعلق بالحدود والقصاص كالسرقة والقتل والتشريع الحربى المتعلق بالقتال وعهود الحرب والسلم وعلاقة الدولة الإسلامية بغيرها والتشريع السياسى المتعلق بنظام الحكم والسياسة العادلة ويبين الآداب الاجتماعية من الاستئذان والتحية والاحتشام وغاية القرآن من ذلك كله أن يخلق المؤمن الكامل والأسرة المسلمة والمجتمع الفاضل والحكومة الصالحة ليتألف من هؤلاء جميعا كيان إسلامى قوى يقيم الحق والعدل ويرفع الظلم ويدفع العدوان لتكون لهم الوراثة **ولقد كتبنا فى الزابور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادى الصالحون﴾**(٣) . .

﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾(٤) . .

وهذه هى غاية الآيات والرسالات جميعا **﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز﴾**(٥) . .

---

(١) سورة الأعراف آية ٣٢

(٢) سورة الاعراف آية ٣٢ - ٣٣.

(٣) سورة الأنبياء آية ١٠٥

(٤) سورة الأعراف آية ١٢٨.

(٥) سورة الحديد آية ٢٥.

هذه هى التعاليم التى زخر بها القرآن الكريم وهى المنهج الصحيح الذى رسمه الله للحياة الإنسانية الرفيعة التى لاتتغير بغير الزمان والمكان فمثلها كمثل الشمس والهواء والغذاء التى لاغنى لأحد عنهما ولا حياة لأحد بدونهما قال تعالى ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم**﴾(١) . .

(تمييزه وخصائصه)

أيها المسلم أعلم رحمك الله أن القرآن الكريم يتميز عن غيره بهذه التعاليم فهو الخلاصة التى تضمنتها التوراة والإنجيل وسائر ما أنزل الله من وصايا وهو بهذا لايساويه أو يقاربه كتاب آخر فى تأثيره وهدايته ولا فى موضوعه وسمو أغراضه ومن ثم كان سيد الكتب وأفضلها على الإطلاق قال تعالى ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه**﴾(٢) . .

وهذه التعاليم هى كلمة الله الأخيرة لهداية البشر أراد الله لها أن تبقى على مدى الدهر وتخلد على مر الزمان فصانها من أن تمتد إليها يد بالتحريف أو التصحيف أو التغير أو التبديل قال تعالى ﴿**وإنه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾ (٣) . .

وقال تعالى ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾(٤) . .

والغاية من هذا كله أن تبقى حجة الله قائمة على الناس حتى يرث الله الأرض ومن عليها والله خير الوارثين .

هذا القرآن الذى أراد الله له البقاء والخلود لايتصور أن يأتى يوم يصل فيه العلم إلى حقيقة ما ، تتعارض مع أى حقيقة من حقائقه فالقرآن كلام الله والكون عمل

---

(١) سورة الشورى آية ٥٢ .

(٢) سورة المائدة آية ٤٨ .

(٣) سورة فصلت آية ٤١ ـ ٤٢ .

(٤) سورة الحجر آية ٩ .

الله وكـلام الله وعمله لايتنـاقضـان أبدا بل يصدق أحدهما الآخر ولهذا جاءت الحقائق العلمية مصدقة لما سبق به الكتاب تحقيقا لقول الله تعالى ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**﴾(١) . .

﴿**وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون**﴾(٢) . .

والله يريد لكلمته أن تذاع وتصل إلى العقول والأسماع وتتحول إلى واقع عملي ولايتم ذلك إلا إذا كانت ميسرة للذكر والحفظ والفهم ولهذا جاء القرآن سهلا ليس فيه ما يشق على الناس فهمه أو يصعب عليهم العمل به قال تعالى ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر**﴾ **(٣)**

ومن تيسيره أن حفظه الرجال والنساء والصغار والكبار والأغنياء والفقراء ورددوه في البيوت والمساجد ولاتزال أصوات القراءة تدوي في كل ناحية ولا نعلم أن كتابا من الكتب غير القرآن نال من هذه الميزة بعض ما أختص به القرآن الكريم والله أعلم . .

(١) سورة فصلت آية ٥٣ .

(٢) سورة النمل آية ٩٣.

(٣) سورة القمر.

(الدرس الواحد والستون فى السنة)

أيها المسلم اعلم رحمك الله أن السنة مصدر من مصادر التشريع ويطلق لفظ السنة على الطريقة المسلوكة فى الدين سواء أكانت حسنة أم كانت سيئة وإلى هذا المعنى يشير رسول الله ﷺ بقوله ﴿من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ويطلق لفظ السنة كذلك ويراد به ما يقابل البدعة فيقال فلان من أهل السنة أى من الجماعة الذين يطبقون تعاليم الإسلام وشرائعه ويلتزم بها وهى فى اصطلاح الفقهاء يقصد بها الأفعال العبادية التى فعلها رسول الله ﷺ.

فإن كان قد واظب عليها فهى السنة المؤكدة وتطلق السنة ويراد بها أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته التى صدرت منه على وجه التبليغ والبيان بصفته رسولا يجب اتباعه والاقتداء به فى أقواله مثل قوله لايكن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت وإن أساءوا أساءت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا . أن تجتنبوا إساءتهم وأفعالهم مثل الأفعال التى شرح بها كيفية الصلاة العملية وقال بعد أن بينها (صلوا كما رأيتمونى أو صلى ـ ودعا ذات يوم بماء ليعلم أصحابه كيفية الوضوء عمليا فتوضأ فغسل أعضاءه مرة واحدة ثم قال هذا وضوء لايقبل الله الصلاة إلا به ثم توضأ مرة أخرى فغسل أعضاءه مرتين وقال هذا وضوء من يضاعف الله له الأجر وتوضأ مرة ثالثه فغسل أعضاءه ثلاثا ثم قال هذا وضوئى ووضوء الأنبياء من قبلى فمن زاد على ذلك أو نقص فقد أساء وتعدى وظلم وأما تقريراته فهى أن يرى المسلم يفعل شيئا فيسكت عنه أو يقع الفعل فى عصره ويبلغه فيسكت عنه كذلك ـ وكذلك ما جاء عن عمرو بن العاص أنه كان فى سرية فأصابته جنابة فى ليلة شديدة البرد فلم يستطيع أن يغتسل فصلى بأصحابه

فلما رجعوا إلى رسول الله ﷺ وشكوا إليه فقال رسول الله ﷺ ياعمرو أصليت بأصحابك وأنت جنب فقال يارسول الله ـ الله يقول **ولاتقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما**(١) . .

فتبسم رسول الله ﷺ فكان تبسمه أقوى دلالة على الجواز من سكوته . .والله أعلم .

(السنة مصدر من مصادر التشريع)

أيها المسلم أعلم رحمك الله أن السنة بهذا المعنى هى المصدر الثانى الذى يلى القرآن فى تبيان عقائد الإسلام وعباداته وآدابه وشرائعه وهى بهذا المعنى تقرر ما فى القرآن وتؤكده أو تبينه وتفسره كما أنها تستقل بتشريع الأحكام وتنص على تحليل الحلال وتحريم الحرام مما لم يرد فى القرآن له نص وفى هذا يقول رسول الله ﷺ (أوتيت القرآن ومثله معه) أى أوتيت مثل القرآن فى تشريع الأحكام مما لم يرد له نص فى القرآن أما تأكيدها وتقريرها لما فى الكتاب فمثاله الأحاديث التى أمرت بالصلاة والزكاة وغيرها مما جاء مؤكدا لما فيه وأما بيان السنة للقرآن فمن أمثلته أن الله سبحانه وتعالى قال**﴿يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف﴾**(٢) . .

فذكرت الأية أن للواحد النصف ولما فوق الأثنين الثلثين وسكتتت عن نصيب الإثنتين فبينت السنة أن البنتين ترثان الثلثين إلحاقا بها فوق الإثنتين وفى قوله تعالى **﴿وكلو واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾**(٣)

إلتبس على عدى بن حاتم فإنه أخذ خيط أبيض وخيط أسود ووضعهما عند رئيسه فلم يتبين هذا من ذاك إلا بعد أن أشرق ضياء النهار فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له الرسول إنك لعريض القفاء ألم أقل لك من الفجر إنما هو بياض النهار وسواد الليل ويقول الله تعالى **﴿وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم**

---

(١) سورة النساء آية ٢٩ . (٢) سورة النساء آية ١١ (٣) سورة البقر آية ١٨٧ .

عدوا مبينا﴾(١)

إلتبس هذا على يعلى بن أمية فذهب إلى عمر فقال ما بالنا نقصر الصلاة وقد أمنا والله يقول إن خفتم فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله ﷺ فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته فبين رسول الله عليه السلام أن مفهوم الشرط معطلا والله يقول **﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾**(٢) ولم تذكر الآية أى اليد من تقطع ولا مما تقطع ولا فى مقدار المال المسروق الذى تقطع فيه فبينت السنة كل هذه الأمور هذا فيما يتصل بالتفسير والبيان أما استقلالها بتشريع الأحكام فمن أمثلة ذلك يقول الله تعالى **﴿قل لاأجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أ؛و دما مسفوحا أو لحم خنزير﴾**(٣) ثم ينهى الله ورسوله ﷺ عن أكل كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير ويقول الله تعالى **﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما﴾**(٤)

ثم ينهى رسول الله ﷺ عن الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها وبين العلة فى ذلك بقوله إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم ويجعل المحرم من الرضاعة كالمحرم من النسب فيقول عليه السلام (يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب وكذلك توريث الجدة الصحيحة السدس وحرمان القاتل من الميراث إذا قتل موروثه وتحريم لبس الحرير والذهب على الرجال وتحريم الأكل فى أوانى الذهب والفضة وهكذا نجد السنة ركنا أساسيا فى التشريع ومصدرا من مصادره وهذا هو ما أمر الله به ودعا الرسول إليه وفهمه المسلمون من عهد الصحابة إلى يومنا هذا قال الله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم**

---

(١) سورة النساء ١٠٠. (٢) سورة المائدة آية ٣٨. (٣) سورة الأنعام آية ١٤٥. (٤) سورة النساء آية ٢٣.

الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ (١)

ففى الآية الأمر بإطاعة الرسول استقلالا وقال تعالى **﴿قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فأمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾** (٢) وقال تعالى **﴿إن أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما﴾** (٣)

وعن معاذ أن النبى ﷺ حين أرسله إلى اليمن وقال له كيف تصنيع إذا عرض لك قضاء قال أقضى بما فى كتاب الله قال إذا لم يكن فى كتاب الله قال بسنة رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ إذا لم يكن فى سنة رسول الله قال أجهد رأيبى لا ألوى قال معاذ فضرب رسول الله ﷺ فى صدرى ثم قال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله ﷺ. (٤) رواه أبو داود والترمذى. من طريق الحارث ابن عمرو وفيه مقال وله شواهد ويؤيده أن عمل الخلفاء الراشدين جرى بهذا الترتيب وأمر به عمر رضى الله عنه فى كتابه المشهور فى القضاء وجاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت له إنك تذكر أن رسول الله ﷺ لعن الواشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فأين ذلك من كتاب الله لقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده فقال لها لو قرأتيه لو جدتيه فى قوله تعالى **﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** (٥)

ومن ثم حرص الرسول ﷺ على أن تذاع سنته وأن تنشر تعاليمه لتكون نورا يستضاء به ولتتحقق القدوة به فى قوله تعالى **﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾** (٦)

ويقول الرسول ﷺ داعيا لحفظ سنته نضر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها ثم أداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع ويخبر أن القوامين على السنة هم خلفاؤه فيقول (رحم الله خلفائى قالوا ومن خلفاؤك يارسول الله قال: الذين يتعلمون سنتى ويعلمونها للناس..)

---

(١) سورة النساء آية ٥٩. (٢) سورة الأعراف آية ١٥٨. (٣) سورة النساء آية ١٠٥.
(٤) رواه أبو داود والترمذي (٥) سورة الحشر ٧. (٦) سورة الأحزاب ٢١.

وفى الاعتصام بالسنة عصمة من الزيغ والضلال ، روى الحاكم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض. وعن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا يارسول الله إن هذه الموعظة لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا قال: (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتى وسنة الخلفاء المهتدين الراشدين عضوا عليها بالنواجز فإنما المؤمن كالجمل الآنف كلما قيد انقاد وأهل السنة هم الغرباء المصلحون وفى حديث الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء) زاد الترمذى فى تفسير الغرباء أنهم الذين يصلحون ما أفسد بعدى من سنتى ورجال السنة هم رجال الحق الذين يذودون عنها حتى يرث الله الأرض ومن عليها وروى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال (لاتزال طائفة من أمتى ظاهرة على الحق حتى يأتى أمر الله) وقال يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفو عنه تحريف الغالين وإنتحال المبطلين وتأويل الجاهلين والتهاون بالسنة هو الضلال رواه ابن ماجه والطبرانى وحسنه السيوطى وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال لم يزال أمر بنى إسرائيل معتدلا حتى نشأ فيهم المولدون وأبناء سبايا الأمم التى كانت بنو إسرائيل تسبيها فقالوا بالرأى فضلوا واضلوا) وقال مالك بن أنس قال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله ﷺ وولاه الأمر من بعده سننا الأخذ بها تصديقاً بكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله من عمل بها مهتدى ومن انتصر بها منصور ومن خالفها أتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا. .

وقد تنبأ رسول الله ﷺ بما سيكون من إعرض عن السنة بحجة الاستغناء بالقرآن عنها فقال (يوشك أن رجل منكم متكأ على أريكته يحدث حديثا عنى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه إلا وأن ما حرم رسول الله مثل الذى حرم الله والله أعلم لأنه لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى. .

(الدرس الثانى والستون فى تبليغ الدعوة)

أيها المسلم أعلم رحمك الله أن الله فرض على المسلمين أن يحملوا مواريث النبوة وأن يضطلعوا بأعباء الرسالة ويقودوا الناس إلى الله ويوجهوهم وجهة الحق والخير لتعلو بذلك إنسانيتهم وتسموا مواهبهم ويحققوا معانى الهدى والرشاد وبهذا وحده كانت هذه الأمة خير الأمم قال تعالى **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**(١) . .

وإن أمة هذا شأنها سوف تنال من رحمة الله ما يجمع شملها ويصلح ذات بينها ويقيها السوء ويدفع عنها المفاسد والشرور ويظللها فى ظله الذى لايشقى من استظل به . . قال تعالى **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله﴾** (٢) . .

والمؤمنون والمؤمنات إذا اتصفوا بهذه الصفات من أن يتولى بعضهم بعض والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأطاعوا الله ورسوله بأن أئتمروا بأوامر الله ورسوله وانتهوا عن ما نهى الله ورسوله فإنهم سوف يسلمون من النقص والخسران ويسيرون إلى الغاية الكبرى من العلم النافع والعمل الصالح والتوجه إلى الحق والصبر عليه قال تعالى **﴿والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾**(٣) . .

ومن ثم يمكن الله لهم فى الأرض وتقوم هذه الأمة بخلافة الله فى الأرض بتنفيذ أوامره ونهيه وقال تعالى **﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله قوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾**(٤) . .

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٠ . (٢) سورة التوبة آية ٧١ . (٣) سورة العصر . (٤) سورة الحج آية ٤٠ .

إذا كان الفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هذه الأثار البعيدة المدى فى حياة الأمة فإن لاهمالها والاستهانة بها آثارا عكسية فى حياة الأمة من الاستخفاف بالدين والتنكر للعقيدة والاستهتار بالأخلاق والتهوين من شأن الفضائل والخروج على العـرف الصالح والإقلال من العبادات الحسنة ثم التخلص من كل القيود الأدبية التى ترقى الفرد وتنهض بالمجتمع مما يعرض الأمة للعقاب الصارم كنتيجة حتمية للإخلال بالقيم العليا التى هى قوام الفرد والجماعة ولقد حذرنا رسول الله ﷺ من أن نتعرض لما تعرض له غيرنا من الأمم السابقة من اللعن وضرب القلوب بعضها ببعض وذلك بترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . .

روى أبو داوود والترمذى عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: إن أول ما داخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل على المعصية فيقول له ياهذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لايحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم لعنهم كما جاء ذلك فى قوله تعالى ﴿**لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون**﴾ (١)

ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتطرأنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا أوليضربنا الله قلوب بعضكم ب بعض ثم يلعنكم كما لعنهم﴾ وخاطب أبو بكر الصديق رضى الله عنه الناس ذات يوم فقال أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها فى غير موضعها ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾(٢)وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الناس إذا رأو الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده﴾ . .

---

(١) سورة المائدة آية ٧٨.

(٢) سورة المائدة آية ١٠٥.

ولقد ضرب رسول الله ﷺ مثلا للأمة التى تقوم بهذه الفريضة أنها تنجو والأمة التى تهملها تهلك فقال (مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار لبعضهم أعلاها ولبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استسقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو خرقنا فى نصيبنا خرقا ولا تؤذى من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعا)(١) ومن سنن الله فى الاجتماع البشرى أنه لايمد يده للخارجين عن دينه ولا يحوطهم بشىء من عنايته مهما تجمعوا على الهوى واستعبدتم الشهوات ومتى فقدوا الوازع الدينى فحينئذ لاينفع الصالح صلاحه ولا ينفع الشرير ذكاؤه وعلمه حيث أن الصالح يعتبر شريكا بسكوته والساكت عن الحق شيطان أخرس..

قال تعالى ﴿**واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب**﴾(٢)، ونحن المسلمين نستطيع أن نخفف من كثير من الشرور والمفاسد إذا أحسنا عرض الإسلام وأخلصنا لله وتجردنا من كل ما يعوقنا عن السير فى هذا السبيل من التماس الدنيا بعمل الآخرة حيث أن الإسلام ذاته قوى وليس فيه ما يشق على النـاس فهمة أو يصعب عليهم العمل به حيث أن روحانيته روحانية مهذبة لا تغمط الفطرة حقها ولا تميل بالإنسان ذات اليمين أو ذات الشمال وليس فيه مادية بعض الأديان ولا رهبانية بعضها الأخرى قال تعالى ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها** ويقول الرسول (إنما بعثت بالحنفية السمحة) ونحن المسلمـون عنـدنـا من وسائل الدعوة ما نستطيع به أن نكون جيلا كريما يستـطيع أن يضرب بسهم وافر وأن يسهم بنصيب كبير فى بناء الأدب العالمى والخلق المتين فعندنا المساجد والمعاهد والمدارس والصحف والإذاعة فهذه كلها لو وضعت لها سلسلة مرسـومة وخطة حكيمة يمكن أن تأتى بأعظم النتائج وأبرز وأبرك الثمار والله سبحانه حين أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أوجبه على

---

(١) رواه البخاري.

(٢) سورة الأنفال آية ٢٥.

الأمة كلها بحيث يكون منها أئمة التوجيه الذين يكفلونها فى كل ناحية من النواحى التربوية حتى يعم الخير كل الأفراد وفى ذلك قال تعالى ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ (١)

ولقد كان فى عهد سلفنا الصالح نظام الحسبة وكان المحتسبون يشرفون إشرافا تاما على كثير من الشئون فلا يشذ شاذ ولا ينحرف منحرف إلا كانوا له بالمرصاد يتولونه بالتأديب والتهذيب كل على حسب حاله فما كان يرى فى المجتمع إلا الخير الذى يدرج فيه الصغير وينشأ عليه الكبير فماذا علينا لو أننا أعدنا هذا النظام وطورناه حسب حالتنا الراهنة إننا نجعل رقابة على كثير من الشئون الهامة دون أن يجد أحد شيئا من الحرج فماذا علينا لو جعلنا رقابة على التصرفات الطائشة والنزعات الفاحشة إننا إن فعلنا ذلك إنما نحاول إيجاد رأى عام مستنير يحب الخير والفضيلة ويمقت الشر والرذيلة وبذلك نؤدى حق الله علينا ونرفع مستويات الناس ونكتب فى إعداد المجاهدين قال رسول الله ﷺ ما من رسول بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدرون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل . .

أيها المسلمون إن كثرة ما نرى من المساوىء يصرفنا عن واجبنا حيال علاج هذه المساوىء والتماس الدواء الناجح لها فإن النفس الإنسانية مهما ران عليها لابد أنها تشعر بجوع روحى طالما كان هناك غذاؤها الروحى النظيف وإن من سفه النفس أن يخاف الإنسان الجهر بالحق .

أيها المسلم الجهر بالحق لايقرب أجلا ولا ينقص رزقا يقول رسول الله ﷺ لايحقر أحدكم نفسه فقالوا يارسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه قال يرى أن عليه

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤ .

مقالا ثم لايقول فيه فيقول الله عز وجل يوم القيامة ما منعك أن تقول فى كذا وكذا فيقول خشيت الناس فيقول الله له فإنى كنت أحق أن تخشانى

أيها المسلمون إن التقصير فى الماضى والإضطلاع بهذه الوظيفة قد ترك فراغا واسعا يجب أن يسد بحملة واسعة من رجال الفكر والرأى وحملة المشاعل والهدى الذين يحرصون على النهوض بأمتهم ويجهدون دائبين فى تحقيق الأمجاد لشعوبهم وليس شىء أهم من تربية النفوس وإعدادها للحياة القوية الجادة التى تزخر بالفضائل والآداب ولقد كان رسول الله ﷺ يبايع أصحابه على عبادة الله وعلى الجهاد كما يبايعهم على القيام بهذا الواجب سواء بسواء وعن جرير قال: بايعنا النبى ﷺ على الطاعة والنصح لكل مسلم) وقال أبو ذر أوصانى خليلى ﷺ بخصال من الخير أوصانى أن لا أخاف فى الله لومة لائم وأوصانى أن أقول الحق وإن كان مرا. وقال عبادة ابن الصامت بايعنا رسول الله على أن نقول الحق أينما كنا لانخاف فى الله لومة لائم.

أيها المسلمون إن على الأباء والأمهات والأساتذة وكل من يعنيهم أمر الدين أن يجعل كل واحد منهم نفسه قدوة حسنة وداعية إلى الله وهاتفا بالموعظة والنصح لكل مسلم ﴿**ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين**﴾(١)..

(١) سورة فصلت آية ٣٣.

(الدرس الثالث والستون فى صفات الدعاة)

أيها المسلمون إن من صفات الدعاة أنهم حملة النور ولهم سمات خاصة يتميزون بها عن غيرهم من الناس لأنهم الهداة إلى الله والدعاة إلى كلمته والقوامون على دينه والذائدون عن حرماته والواقفون على مفترق الطريق يرشدون الحيارى ويبصرون هم أعلام الطريق هؤلاء الذين يبلغون رسالات الله والذين إصطفاهم الله لحمل أمانته ودعوة الخلق للحق وقد عرفوا قدر هذه الأمانة فوفوها حقها وأوقفوا حياتهم لها وضحوا بكل شىء من أجلها ولم تصرفهم عنها مباهج الدنيا ولا مفاتن الحياة ولا خداع الآمال.

عرفوا هؤلاء سنة الله فى الكون وحكمته فى الوجود وسره فى الخلق وجماله فى الطبيعة فأمتلأت قلوبهم إيمانا به وحبا له ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه وانحنت أصلا بهم إكبارا لجلاله وإعظاما لجبروته وعفرت جباههم بالتراب تقربا إليه وتذللا بين يديه تأدب هؤلاء بأداب الله الذى آدبهم به فزهدوا فى الدنيا وهى فى أيديهم ولم تمتد أعينهم إليها وهى فى أيدى غيرهم فجادوا بها وهم أغنياء وتنزهوا عنها وهم أحوج ما يكون إليها اعتزوا بسلطا الله فلم يروا لغيره سلطانا فصدعوا بالحق ونابذوا الباطل وصرخوا فى المستضعفين أن يتقوا وأهابوا بالمستعيدين أن يحطموا سلطان كل طاغية جبار قويت ثقتهم بالله وأمتدت قوتهم إلى النفوس الواهنة فأيقظت مشاعرها وأرهفت أحاسيسها وأمدتهم بالقوة والحماسة . .

ونظر هؤلاء إلى الناس على أنهم مجموعة من القوة والمواهب والملكات وأن عليهم أن يأخذوا بها إلى المثل الأعلى لتصل الإنسانية إلى الغاية من الكمال فى هذه الحياة وتستعد إلى كمال أسمى فى حياة أرغد وأسعد وأبرز صفات هؤلاء الربانيين معرفتهم بالنفوس البشرية معرفة تمكنهم من الطب لها وعلاج أدوائها وأنهم يقفون منها موقف

الطبيب أثناء معالجته للمريض فيأخذه بالرحمة ويذيقه مرارة الدواء باللبن والكلمة الطيبة إرتفع مستوى هؤلاء فعملوا جاهدين على رفع مستوى من يخاطبهم وسموا بهم عن النقائص والسفاسف والتفاهات وأيقظوا فيهم حساسة الخير وبواعث الأدب والنبل ومن صفاتهم أنهم يجمعون الشتات ويوحدون الكلمة ويقومون الصفوف وينصاعون للحق ويحملون ما صدر من غيرهم على أحسن معانيه ما وجدوا له فى الخير مذهبا ولا يجدون على أحد ولا يضيقون به أو يحقدون عليه كبرت صدورهم فوسعوا للناس على إختلاف درجاتهم ببسط الوجه هذه بعض سمات الذين يتصدرون الدعوة إلى الله ويتزعمون الحركة الربانية الهادية لتعاليم الإسلام وسيرة السلف الصالح فعلينا نحن المسلمين أن نتصف بهذه الصفات الحميدة وأن نحافظ على هذه التعاليم السامية الرفيعة لكى نستعيد مجدنا وعزتنا وكرامتنا والله الهادى إلى سواء السبيل . .

تم بحمد الله . والله ولى التوفيق . .

الفهـــرس

الموضـــوع | الصفحـــة

مقدمـــة الكـتاب	٧
الدرس الأول الإسلام ومعنى الإسلام	٩
الدرس الثاني في وحدانية الله تعالى وعقائد العرب قبل الإسلام	١١
الدرس الثـالث	١٣
الدرس الرابع فى روح التوحيد في الإسلام	١٤
الدرس الخامس في براهين عقيلة على وحدانية الله	١٥
الدرس السادس في وحدة الأنظمة الكونية وهي تدل على وحدانية الله تعالى	١٧
الدرس السابع في الشرك بالله ومظاهره	١٨
الدرس الثامن مهاجمة الإسلام للاشراك بالله	١٩
الدرس التاسع في العبادات الشخصية الانسانية	٢١
الدرس العاشر في الشفاعة	٢٣
الدرس الحادي عشر في صفات الله في القرآن	٢٥
الدرس الثاني عشر في علم الله تعالى	٢٨
حكمة الله تعالى في الخلق	٣٠
الدرس الثالث عشر في القرآن	٣٢
الدرس الرابع عشر في الحكمة عن بعثة الرسل	٣٣
الدرس الخامس عشر في الإيمان بالرسل	٣٤
الدرس السادس عشر في عصمة الرسل	٣٦
الدرس السابع عشر لكل أمة رسول	٣٧
محمد خاتم الرسل	٣٨
الدرس الثامن عشر في ذكر الله وآثاره في النفوس	٣٩
الدرس التاسع عشر في الاستغفار وآثاره فيعـلاج النفس	٤٢
فائدة الاستـغفار	٤٤

الموضـــوع	الصفحـــة

الدرس العشرون فى التوبة وآثارها في تقويم الاخلاق ٤٥
الدرس الواحد والعشرون في عبادة الله وأثرها في تحرير الإنسان من الطغيان ٤٧
الدرس الثاني والعشرون في فضل الشكر لله وآثاره في سعادة الأمم ٤٩
الدرس الثالث والعشرون في الاخلاص لله ٥٣
الدرس الرابع والعشرون في الاستقامة ٥٥
الدرس الخامس والعشرون في الإحسان ٥٧
الدرس السادس والعشرون في التقوى ٦٢
الدرس السابع والعشرون في الصبر ٦٥
الدرس الثامن والعشرون في العفو ٦٨
الدرس التاسع والعشرون في الصدق ومظاهره ٧٠
الدرس الثلاثون في الإصلاح بين الناس ٧٢
الدرس الواحد والثلاثون في التعاون ٧٤
الدرس الثاني والثلاثون في الصلاة ٧٥
حكمة الصلاة ٧٥
وجوب الصلاة ٧٦
شروط الصلاة ٧٧
عرض لأفعال الصلاة ٧٧
المعاني السامية في سورة الفاتحة ٧٨
من فوائد سورة الفاتحة ٨٠
تنمية ملكة حصر الذهن ٨٢
الدرس الثالث والثلاثون في الصوم في الإسلام ٨٣
بعض حكم الصوم وفوائده ٨٥
تلطيف الإسلام من شدة الصوم ٨٦
الدرس الرابع والثلاثون في الحج ٨٨

الموضـــوع	الصفحـــة

قصة بناء الكعبة ٨٨
روح الحج في الإسلام ٨٩
من يجب عليه الحج ٩٠
الاحرام والسلام ٩١
الخضوع والانقاد لله ٩٢
حكمة الطواف حول الكعبة ٩٣
حكمة السعي بين الصفا والمروة ٩٣
حكمة الوقوف بعرفـة ٩٣
الدرس الخامس والثلاثون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٩٥
الدرس السادس والثلاثون في التشريع الإسلامي ٩٧
الدرس السابع والثلاثون في بعض الأسس التي قام عليها التشريع الإســلامي ٩٩
المبادىء الخاصة بدفع الضـرر ١٠٠
الدرس الثامن والثلاثون في سد ذرائع الفساد ١٠١
المبادىء الخاصة برفع الحرج ١٠١
مبدأ الضرورات تبيح المحظورات ١٠٢
الدرس التاسع والثلاثون في الزكاة ١٠٣
الدرس الأربعـون في الوصية ١٠٥
حفظ الأمانة والحجر على السفهاء ١٠٥
الدرس الواحد والأربعون في اختبار اليتامى قبل تسليمهم أموالهـم ١٠٧
الدرس الثاني والأربعون في تحريم الربا ١٠٨
الدرس الثالث والأربعون تحريم أكل أموال الناس بالباطل ١١١
الدرس الرابع والأربعون في تحريم القمار ١١٣

الموضوع	الصفحة
الدرس الخامس والأربعون في التلاعب بالمكاييل والموازين	١١٤
الدرس السادس والأربعون في الذم والإسراف والتبذير	١١٥
الدرس السابع والأربعون في الإنفاق في سبيل الله	١١٦
الانفاق على ذوي الحاجات	١١٧
الانفاق من الطيبات	١١٧
المال ملك الله	١١٨
الإحسان قرض لله	١١٩
مورد الفقراء لا حد له	١١٩
الدرس الثامن والأربعون فى الزكاة	١٢١
تأثير الفقر في المجتمع	١٢١
الزكاة إحدى فرائض الدين	١٢٢
أنواع الزكاة	١٢٣
شروط الزكاة	١٢٣
الدرس التاسع والأربعون فى البعث	١٢٦
الدرس الخمسون في أهوال يوم القيامة	١٢٩
الحساب في الآخرة	١٣٠
الدرس الواحد والخمسون في النعيم الحسى	١٣٤
أشجار الجنة وثمارها	١٣٥
طعام الجنة وشرابها	١٣٥
ثياب الجنة وحللها	١٣٦
مساكن الجنة وغرفها	١٣٧
الدرس الثاني والخمسون في الجزاء على الأعمال السيئة	١٣٨
سورة عذاب الجحيم	١٣٨
الدرس الثالث والخمسون في عرض بعض الأعمال	١٤١
الدرس الرابع والخمسون في ذم الكبرياء	١٤٤

الموضوع	الصفحة
الدرس الخامس والخمسون في الخمر والقمار	١٤٧
مضار القمار	١٤٨
الدرس السادس والخمسون في الكذب	١٥٠
خلف الوعد	١٥١
شهادة الذور	١٥١
البهتان	١٥١
النميمة من ضروب الكذب	١٥٢
احترام الغير	١٥٢
الظن والغيبة	١٥٤
الدرس السابع والخمسون في الغضب	١٥٥
الدرس الثامن والخمسون في الحسد	١٥٧
اللغو	١٥٨
الشراهة	١٥٩
الدرس التاسع والخمسون في الدلائل العلمية على وجود الله	١٦١
البرهان على وجود الله	١٦١
هذا الكون آية على وجود الله	١٦٢
خلق الإنسان آية على وجود الله	١٦٣
الدرس الستون في القرآن والاهتداء به	١٦٥
ويعرض أسماء الله الحسنى وصفاته العليا	١٦٦
تميزه وخصائصه	١٦٩
الدرس الواحد والستون في السنة	١٧١
السُّنة مصدر من مصادر التشريع	١٧٢
الدرس الثاني والستون فى تبليغ الدعوة	١٧٦
الدرس الثالث والستون في صفات الدعاة	١٨١

تصميم وتنفيذ وطباعة شركة دار العلم للطباعة والنشر
ص.ب ٤٧٩٧ جدة ٢١٤١٢ ت ٦٧١٢١٠٠ المملكة العربية السعودية